الرسالة رقم ١٨٧

رسالة جديدة للجاحظ
في مناقب خلفاء بني العباس
(دراسة وتحقيق)

د. محمد محمود الدروبي

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آل البيت

المملكة الأردنية الهاشمية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الثانية والعشرون ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المؤلف:

د. محمد محمود الدروبي

- دكتوراه في «الأدب العباسي» من الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.
- أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية - جامعة آل البيت - الأردن.

الإنتاج العلمي المنشور:

أولاً - الكتب:

١ - الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الفكر، الطبعة الأولى، عمان، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢ - التوقيعات الفارسية المعربة، منشورات جامعة آل البيت، الطبعة الأولى، المفرق، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣ - التوقيعات الأندلسية، منشورات جامعة آل البيت، الطبعة الأولى، المفرق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤ - اللغة العربية لطلبة الأقسام الإنسانية، منشورات جامعة آل البيت، الطبعة الثانية، المفرق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥ - اللغة العربية لطلبة الأقسام العلمية، منشورات جامعة آل البيت، الطبعة الأولى، المفرق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

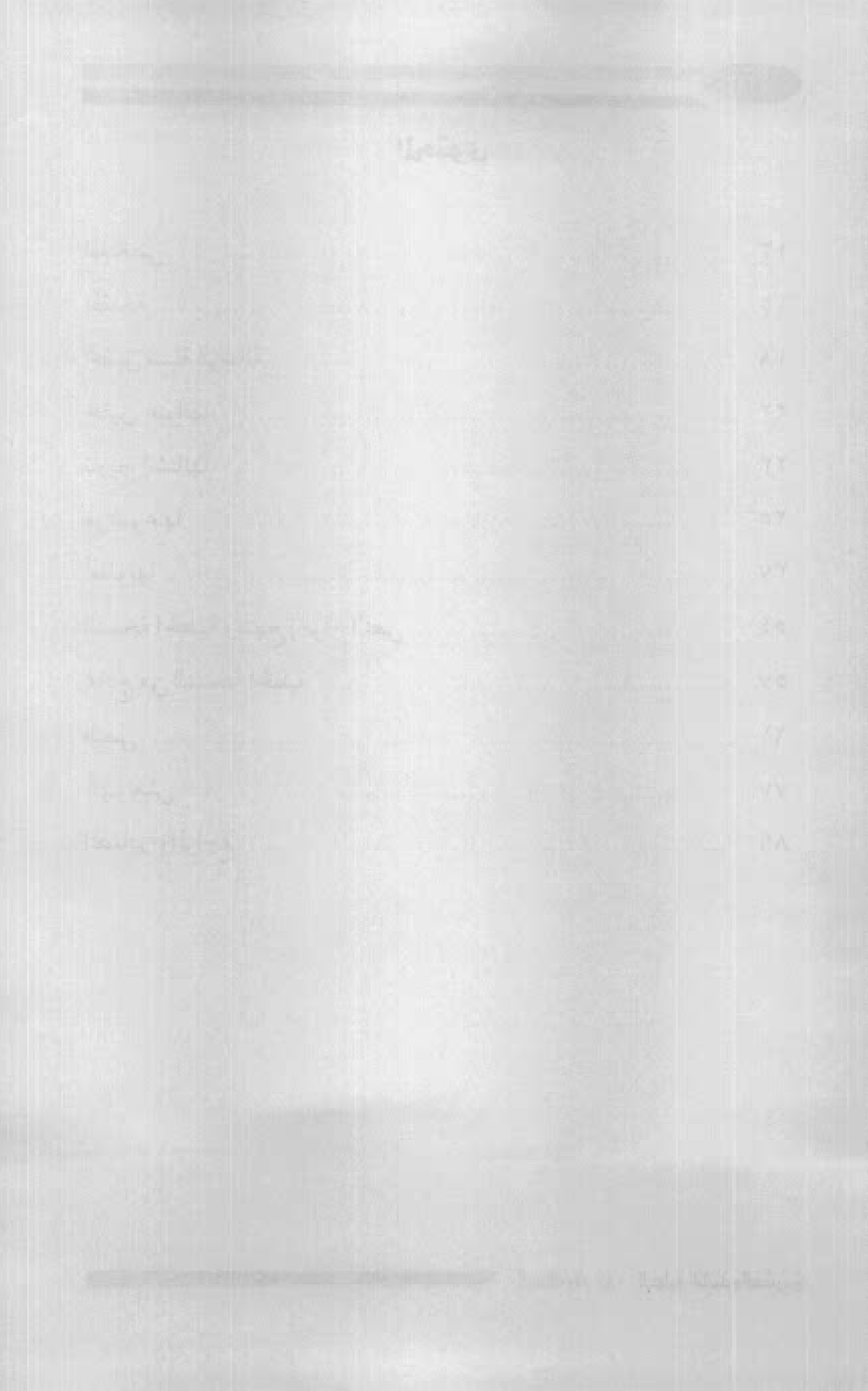
ثانياً - الأبحاث:

١ - رسالة جديدة للجاحظ في مدح آل دؤاد، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد ١٢، العدد ٢، جامعة مؤتة، الكرك، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٠١ - ٢٦٠.

٢ - رسالة جديدة للجاحظ في الهجاء، مجلة المنارة، المجلد ٤، العدد ٣، جامعة آل البيت، المفرق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٥٩ - ١٠٠.

٣ - صدى نكبة البرامكة في نماذج من النثر العباسي، مجلة المنارة، المجلد ٦، العدد ١، جامعة آل البيت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٧١ - ١٩٢.

المحتوى



ملخص

تكشف هذه الدّراسة عن أثرٍ جديدٍ من آثار الأديب المعروفِ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م). وقد عثرت على هذا الأثر في كتاب «المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ» المخطوط ببرلين تحت رقم (٥٠٣٢)، وقمتُ بتحقيقه تحقيقاً علميّاً أميناً، وقدّمتُ له بدراسة تناولت أهم الجوانب المتعلقة به كتوثيقه وموضوعه وأُسلوبه ونسخته الخطيّة ومنهج تحقيقه.

تناول الجاحظُ في رسالته التي لم تنشر من قبل مناقبَ عددٍ من الخلفاء العباسيين، مضفياً عليهم هالةً بديعةً من المدح والثناء، وكأنّما هو يجعل رسالته أُمدوحة تمجد الدولة العباسيّة، وتثني أكثر ما يكون على خلفائها ممن اعتنقوا الاعتزال، مذهب الجاحظ نفسه؛ فالرسالة تشف عن مذهب الجاحظ السياسيّ القائم على الاحتجاج لكلّ ما هو عباسيّ معتزليّ، والطعن بما هو متعلق بالأمويين.

ومهما يكن، فإنّ النصّ نفسه يظل عملاً جديداً جديراً بالدّراسة؛ كونه يمنحنا بعض ملامح الخليفة العباسيّ، الجسميّة والنفسيّة والخُلقيّة والعلميّة، يكتبها كاتبٌ فذٌ عاش الأُمور، وواكب الأحداث، فجاء حديثه شهادة عيان لها قيمتها الخاصة.

المقدمة

يُعدُّ الجاحظُ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكنانيّ، عَلَماً مُبدعاً من أعلام الأدب والفكر والثقافة والسياسة والدِّين والاجتماع في الحضارة الإسلاميّة، فهو أديبٌ فنان، انقاد له القلم، فوضع ملامحَ مدرسة فنيّة جديدة في الكتابة العربيّة قوامها المناسبة بين اللفظ والمعنى، والعناية بالتعبير وضوحاً ومتانةً وإشراقاً وعذوبةً، وقد استطاع الجاحظُ بطريقته هذه أن يمدّ النثر العربيّ بطاقات جديدة أدخلته واقعَ الحياة، وتركت بصماتِهِ واضحة في أجيال لاحقة، شغفت بأُسلوبه وفنّه، وأقبلت عليه بنهمٍ وشَغَفٍ شديدين.

والجاحظُ مع هذا ناقد منهجيّ حاذق، وصاحب ذوق وإحساس بالجمال، أرسى للنقد العربيّ مُنطلقاته الأولى، ووصلها بنظراته الثاقبة المثيرة التي جعلته إمامَ البيان العربيّ بحقّ، وفتحت للنُقّاد بعده آفاقاً جديدة في البحث النقدي المُنظّم، أُصولِه ومناهجِهِ وقواعدِه وقضاياه.

وللجاحظ منزلةٌ سامية بين اللغويين القُدامى، إذ توصل بذكائه إلى أهمّ مكونات النظريّة اللغويّة، ووفق في طرح مشكلاتها طرحاً علميّاً جريئاً لا تنقصه الحصافة والموضوعيّة والدراية، وقد ظلت آراؤه في نشأة اللغة وتطورها وأسرارها وفقهها وقوانينها تلقى رَواجاً واسعاً في أوساط اللغويين العرب حتى اليوم.

وبالمثل، كان الجاحظُ من أعظم مُفكري عَصْره، وكان يستندُ إلى منهج علمي رائد، يقوم على الاحتكام إلى العقل والمنطق، واعتماد الشّك في سبيل الوصول إلى الحقيقة، واستعمال التّجريب في سبيل تأييد الحقائق العلميّة.

وقد توصل الجاحظُ إلى نتائج مُبهجة مُبتكرة في علوم النبات والحيوان والكيمياء والطبّ والنفس والجغرافية والفلك وغيرها.

ولا يمكن أن نُغضي الطّرفَ عن مكانة الجاحظ الدّينيّة؛ فقد كان رأساً من رؤوس المعتزلة، وإماماً من أئمة المتكلمين، وشيخ فرقة عرفت بالجاحظيّة، نسبةً له، وكانت للجاحظ بعد ذلك آراؤه الخاصة التي جعلت منه مفكراً عربياً إسلامياً حُرّاً ذا نكهة مميزة.

وهكذا، يظهر واضحاً للقارئ أنّ الجاحظ كان في أدبه وفكره واسع المعرفة، غزير العطاء، فقد خاض غمار ميدان الثقافة في عصره، وترك المؤلفات الكثيرة الثرّة التي تدل على موسوعيته وألمعيته وريادته العلميّة.

عاش الجاحظُ حياته في ظل العباسيين، وفي كَنَفِ خِلافتهم، فعاصر اثني عَشَرَ خليفةً مِنْ خُلفائهم، وتفتّحت عَينُهُ على الازدهارِ الكبير في عهدي: المنصور والمهدي، وعاين الألقَ الحضاريّ في خلافتي: الرّشيد والمأمون، وعايش النّصرَ العسكريّ في زمنِ المُعتصم، وعاشر النّهضةَ الواسعةَ في عهدي: الواثق والمُتوكل، وشاهد في سني عُمرِهِ الأخيرة أماراتِ الوهنِ تدبُّ في أوصال هذه الخِلافة، وتُحيلها إلى كيانٍ سياسيّ ضَعيفٍ مهزوزٍ، يُباينُ الصُّورة المُشرقة التي كانت عليها في أدوارها الأولى.

توثّقت صِلةُ الجاحظِ بالعباسيين منذ مَطْلعِ القرن الثّالث، فقد اتّصل بالمأمون في أوّل عهده، وقدّم له الكُتُب التي وضعها في «الإمامة»، فأُعجب بها الخليفةُ العالِم، وأثنى على صاحبها، وبادر إلى تكريمه[1]. وكانت النّتيجةُ أن انقطعَ الجاحظُ إلى خدمة بني العبّاس، فسخّر قلمَهُ للدِّفاع عن خِلافتهم

والاحتجاجِ لها، والردِّ على خُصومهم والمناوئين لهم، وكأنّما أضحى الجاحظُ بذلك أحدَ كُتّاب الدّولة، المُنافحِين عن وجهةِ نظرها الرّسميّة.

ففي قضيةِ خلقِ القُرآن التي امتحنت بها الدّولةُ الناسَ وحملتهم على هذا المذهب، وضع الجاحظُ - بإشارةٍ من الخليفة - عدداً من رسائله المُعبّرة عن رأي الخِلافة بوجهها المعتزليّ في هذه المسألة الشّائكة، كرسالته في «خلق القُرآن»[٢]، ورسالته في «نفي التّشبيه»[٣]، ورسالته في «الردّ على المُشبّهة»[٤].

وتابع الجاحظُ هذا النّمطَ من التّأليف، فكتب، في نحو سنة (٢٢٣هـ/ ٨٣٧م)[٥]، رسالته الموسومة بـ «النّابتة»[٦]، وهي محض هجومٍ سافرٍ على الأمويين. وفي سنة (٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، أحرقت الدّولةُ غنّاماً المُرتد بالنّار[٧]، فأنشأ الجاحظُ رسالته «بصيرة غنّام»[٨]، دفاعاً عن وجهة النّظر الرّسميّة، وتسويغاً لما قامت به الدّولة.

ولما نجمت قضيةُ أهل الذّمة في عهد المتوكل، طلب الوزيرُ التركيُّ الفتحُ بن خاقان إلى الجاحظ أن يضعَ رسالةً في «الردّ على النّصارى»[٩]، وأن يُعجّل بالفراغِ منها؛ لتُعْرضَ على الخليفةِ وتحظى بمُباركته[١٠].

وفي هذه السّبيل، ترك الجاحظُ طائفةً من الآثار التي تُمجّدُ أهلَ الدّولة وأصحابها الهاشميين، من ذلك كتابُهُ «فضل هَاشِمٍ على عبد شَمْس»[١١]، وكتابُهُ «العباسيّة»[١٢].

ومن جُملة الآثار التي وضعها الجاحظُ في هذا الباب رسالته في «مناقب خُلفاء بني العبّاس»، وهي واحدةٌ من رسائل الجاحظِ الجديدة التي لم تُنْشر من قبل. وقد رأيتُ في عدم معرفة الدّارسين بهذا الأثر الجاحظيّ الجديد حافزاً كافياً للعناية به دَرْساً وتحقيقاً.

تحقيقُ نِسْبة الرّسالة

ورد هذا النصُّ في مخطوطة «المُختار من كلام أبي عثمان الجاحظ»[١٣] ضمن مجموعةٍ وافرةٍ من النُّصوصِ الثّابت نَسبُها إلى الجاحظ، ولم أجد في نصّ الرّسالة ما يمنع من ضمّها إلى ذلكم التّراث الأدبيّ النّفيس الذي أنتجه هذا الأديبُ الفذّ، بل لا يعدمُ الدّارسُ بعضَ الأدلة التي تُؤيد هذه النِّسبةَ، وتشدُّ أزرها، وأهمّ هذه الأدلة:

١- تجري الرّسالةُ على طريقةِ الجاحظ في الكتابة، ولا يلمحُ النّاظرُ في أُسلوبها ما يُوحي ببُعْدِهِ عن رصانةِ عبارةِ الجاحظ وحُسنِ سَبْكها ووضوحِ دلالتها وقوةِ جرسها.

٢- تخلو الرّسالة من أيّ إشارةٍ تاريخيّةٍ تتجاوزُ تاريخَ وفاةِ الجاحظ، وفي المقابل يتضمنُ النصُّ عدداً من الوقائع والأحداثِ التّاريخيّة التي عاشها كاتبُ النصّ في خلافتي: المأمون والمُعتصم، كالإشارة إلى قضيةِ خلق القُرآن[١٤]، وحربِ مازيار طبرستان[١٥]، وقتل بابك الخُرّميّ[١٦]، وفتح عَمورية[١٧]. ومعروفٌ أنّ الجاحظَ كان معاصراً هذه الأحداث قريباً منها.

٣- لا يبدو موضوعُ الرّسالة بعيداً عن اهتمامِ الجاحظ، فقد رأينا - قبل قليل - أنّ الجاحظَ الذي انقطع إلى العباسيين كتب عدداً من الرّسائل والكُتُب في الانتصارِ لهم، والاحتجاجِ لفضائلهم، والحديثِ عن مناقبهم، وما من شك في أنّ هذه الرّسالةَ تنضاف إلى دائرةِ هذا الاهتمام، وتقوم دليلاً واضحاً على صلة الجاحظِ بهذا الموضوع.

٤- يقع النّاظرُ في الرّسالة على بعض الفِقَر والعباراتِ التي ردّدها الجاحظُ في

آثاره الأخرى، ويتّفق هذا الملمحُ مع ما هو معروفٌ عن الجاحظ من الميل إلى تكرار ما كان قاله سابقاً، وسأذكر فيما يلي مثالين ممّا أورده الجاحظُ في رسالته هذه، وردّده في بعض كُتُبه ورسائله الأُخرى.

المثال الأول :

الرّســـالــة

«ولولا أنّ دولةَ بني العباسِ صارت عجميّة خراسانيّة، وكانت دولةُ بني مروان عربيّة أعرابيّة في أجنادٍ شاميّة. والعرب أوعى لما تحفظُ وتصنعُ، وأحفظُ لما تأتي، ولها الأشعار التي تقيدُ عليها مآثرها، وتُخلد لها محاسنها، فثبت بذلك لبني مروان شرفٌ كبيرٌ، ومجدٌ تليدٌ، وتدابيرُ لا تُحصى، لأربى مناقبُ مَلِك من مُلوك بني العباس على مناقب جميع مَنْ ولد مروان وأبو سُفيان.

ولولا أنّ أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعَهم في أهلِ الشّام، وتدبيرَ مُلوكهم وسياساتِ كُبرائهم، وما جرى في

كتاب البيان والتبيين

«وقد يجبُ أن نذكرَ بعضَ ما انتهى إلينا من كلام خلفائنا، من ولد بني العباس، ولو أنّ دولتَهم عجميّة خُراسانية، ودولة بني مروان عربيّة أعرابيّة، وفي أجناد شاميّة. والعرب أوعى لما تسمع، وأحفظُ لما تأتي، ولها الأشعار التي تقيّد عليها مآثرها، وتُخلد لها محاسنها. وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليّتها، فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً، وتدبيراً لا يُحصى.

ولو أنّ أهلَ خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشّام، وتدبيرَ مُلوكهم، وسياسة كُبرائهم، وما جرى في ذلك من فوائد الكلام،

ذلك من فوائد الكلام، ومن شريف المعاني، كان فيما قال المنصور وفَعَل في أيامه، وما أسّس لمن بعده، وما يفي بجماعة ملوكِ بني مروان.

ولقد تتبع أبو عُبيدة النحويّ، وأبو الحسن المدائنيّ، وهشام بن الكلبيّ، والهيثم بن عدي، أخباراً قد اختلّت، وأحاديثَ قد تقطّعت، فلم يدركوا إلاّ قليلاً من كثير، وممزوجاً من خالص.

وعلى حالٍ، فإنّا إذا صرنا إلى بقيةٍ ممّا رواه العباسُ بن محمّد، وعبدالملك بن صالح، والعباس بن موسى، وإسحاق بن عيسى، وإسحاق بن سُليمان، وأيوب بن جعفر، وما رواه إبراهيم بن السّنديّ عن السّنديّ، وعن صالح صاحب المصلى، وعبدالقدوس، وعن مشيخةِ بني هاشم، وعن مواليهم، عرفنا بتلك البقية كثرةَ ما فات من ذلك، وبذلك الصّحيح أين موضعُ الفساد ممّا صنعه الهيثمُ بن عديّ، وتكلّفه هشام بن الكلبيّ»[١٨].

وشريف المعاني، كان فيما قال المنصور وما فَعَلَ في أيامه، وأسّس لمن بعده ما يفي بجماعةِ مُلوك بني مروان.

ولقد تتبع أبو عُبيدة النحويّ، وأبو الحسن المدائنيّ، وهشام بن الكلبيّ، والهيثم بن عدي، أخباراً قد اختلفت، وأحاديثَ قد تقطّعت، فلم يدركوا إلاّ قليلاً من كثير، وممزوجاً من خالص.

وعلى كلٍّ حالٍ، فإنّا إذا صُرنا إلى بقيةِ ما رواه العباس بن محمّد، وعبدالملك بن صالح، والعباس بن موسى، وإسحاق بن عيسى، وإسحاق بن سُليمان، وأيوب بن جعفر، وما رواه إبراهيم بن السّنديّ عن السّنديّ، وعن صالحِ صاحب المصلّى، وعن مشيخة بني هاشم ومواليهم، عرفتَ بتلك البقية كثرةَ ما فات، وبذلك الصّحيح أين موضعُ الفساد مما صنعه الهيثمُ بن عديّ، وتكلّفه هشامُ بن الكلبيّ»[١٩].

المثال الثاني:

الرّسالـة	رسالة نفي التّشبيه
«وهل رأيتم أفعالاً أشبهَ بأخلاق، وأخلاقاً أشبهَ بأعراق، من أفعاله (الخليفة المأمون) بأخلاقه، وأخلاقه بأعراقه؟!»[٢٠].	«وهل رأيت أفعالاً أشبهَ بأخلاق، وأخلاقاً أشبهَ بأعراق، من أفعاله (الخليفة المعتصم) بأخلاقه، وأخلاقه بأعراقه؟!»[٢١].

ويشيرُ هذان المثالان إلى ملمح التّكرار الذي صَبَغَ به الجاحظُ طريقته في الكتابةِ، حتى أضحى أشبه بميسمٍ قارٍ لا يكاد الجاحظُ يجد فكاكاً من ربقته في كثيرٍ ممّا يكتب[٢٢].

٥ – تتفق مُجملُ الأفكارِ التي طُرحت في هذه الرّسالة مع ما كان الجاحظُ يتبنّاه ويُنافحُ عنه، فما أورده عن دور الشّعر في تقييدِ المآثر وتخليد المحاسن في هذه الرسالة[٢٣] يلتقي مع ما ذكره في كتاب «الحيوان» من اعتماد العربِ على الشّعر في استبقاء مآثرها وتخليد مناقبها[٢٤].

ونظيرُ ذلك حديثُهُ –في هذه الرّسالة– عن فسادِ الزّمان وتبدّل أهله[٢٥]، إذ يبدو هذا الحديثُ وثيق الصّلة بما جاء في رسالته إلى بعض أصدقائه في ذمّ الزمان والشّكوى من أهله[٢٦]. ولا يَبْعُدُ مُجملُ ما أورده عن الفرقِ الإسلاميّة كالمعتزلة والنابتة والأزارقة والرّافضة[٢٧] عما كان يُردده في ثنايا مؤلفاته ورسائله[٢٨]. ومثل ذلك يُقال عن نظرته إلى العامة[٢٩]، فهي تلتقي مع مُجمل أنظاره التي بثّها في آثاره[٣٠].

تحقيقُ عنُوانها

لم يرد في النُّسخةِ الخطيّةِ التي صدرنا عنها في تحقيق هذا الأثر الجاحظيِّ الجديدِ ما يشيرُ -ولو على نحوٍ- إلى صُورة عُنوانه، ويبدو واضحاً أنّ صاحبَ الاختيارات الذي حفظ هذه الرّسالة فيما حفظ من آثار الجاحظِ لم يكن مَعْنيّاً بتسمية عُنواناتِ الآثار التي جَمَعَ منها مُختاراته، ومن بينها هذه الرّسالة. وهكذا، كانت غايةُ مؤلف «المُختار من كلام أبي عثمان الجاحظ» أن يُقدّم طائفةً من عُيون ما وقف عليه من أدب الجاحظ، مُغْفِلاً في الوقت نفسه ذكرَ المصادرِ التي اعتمدها في مُنتقياته.

ولعل هذه الرّسالة تكون واحدةً من جُملةِ الرّسائل التي أطلق عليها الجاحظُ نَفْسُهُ اسم «الرّسائل الهاشميات»[٣١]، وذلك في قوله ناعياً على خَصْمِهِ الذي عاب عليه ما كَتَبَ وألّف: «وعبتني برسائلي الهاشميات»[٣٢]. وربما يكون في موضوعِ هذه الرّسالة ما يَنْهضُ شاهداً على صِلتها بتلك الرّسائل.

ولا يسع الباحثَ في ضَوء ضياع العُنوان الذي وسم به الجاحظُ رسالته هذه، إلاّ أن يتلمّسَ عُنواناً مُقترحاً بالنّظر إلى مضمونِ النصّ نفسه، وقد رأيتُ -بعد نظرٍ- أنّ الرّسالة تكاد تنضم على محورٍ واحدٍ هو الحديث عن الخُلفاء العباسيين، ونشر محاسنهم وفضائلهم، فآثرت أن أسِمَها «رسالة جديدة للجاحظ في مناقب خُلفاء بني العبّاس».

وقد حاولتُ في بناء هذا العنوان أن تكون عبارتُهُ جاريةً على النّسق الذي أشاعه الجاحظُ في عُنوانات آثاره، فأخذتُ بكلمة «مناقب» وآثرتها على ما

يُرادفـهـا أو يقـوم مـقـامَـهـا من اللفظ، ناظراً إلى اسـتـعـمـال الجـاحظ إياها في رسـالتـه الموسـومة «مناقب التُّرك وعامة جُند الخـلافـة»(٣٣). وإلى قـوله في هذه الرّسـالة «لأربى مناقب مَلِك من مُلُوك بني العبـاس على مناقبِ جـمـيـعِ مَنْ ولد مروان وأبو سُفيان»(٣٤).

ورأيتُ ضـرورةَ إثبات كلمـة «خُلفـاء» فـي العنوان؛ لأن الرّسـالة تُشـبـه أن تكون موقوفةً على مناقب الخُلفاء من بني العباس، وقد قال الجـاحظُ في فاتحة رسـالته: «لا نعلمُ أحداً بعد الأنبيـاءِ - صلواتُ اللّه وسـلامُهُ عليهم - أفضلَ من الخُلفـاء»(٣٥). وعـدلتُ أخيـراً عن لفظ «العـبـاسـيين» إلى «بني العبـاس» كـون الجـاحظ نفسه كان مُؤثراً الاستعمالَ الثّاني في كتاباته، فمن ذلك قولُهُ في هذه الرّسالة «مُلوك بني العباس»(٣٦)، ومن ذلك ترجمته أحد كُتُبه باسم «إمامة بني العباس»(٣٧).

تاريخُ إنْشائها

تخلو الرّسـالةُ من إشارةٍ صـريحةٍ إلى التّاريخ الذي أُنشئت فيه، ويكاد هذا الملمحُ يكون جـارياً على سَنَنِ أكثـر آثار الجـاحظ، إذ لـم يكن الرّجل قَلِقـاً بالتـأريخ لنتاجـه العلميّ على كثرته، وقد أفـضـى هذا الأمرُ إلى أن تـخـرجَ جُلُّ كُتُبه ورسائله غُفْلاً من تاريخ تحريرها.

وإذا كانت الرّسـالةُ نفسـها لا تتضمنُ ما يقفُ شـاهداً صـريحاً على تاريخ إنشـائهـا، فـلا يعدم النـاظر -بعد ذلك- أحداثاً وأعـلامـاً ومـعـارفَ تتـراءى في تضـاعـيف النصّ، قد يكون بعضُـهـا مُـهـمـاً في مـحـاولةِ الاقـتـراب مـا أمكن من معرفة المُدّة التي كَتَب فيها الجاحظُ رسالته هذه.

تُطالعنا الرّسالة بغير إشارةٍ تاريخيّةٍ حاسمةٍ إلى أهم الأعمال العسكريّة التي نهض بها الخليفةُ العباسيّ الثّامن: المُعتصم بالله، ومن أبرز هذه الإشارات:

١- الإشارة إلى «استباحة الزُّط»[٣٨]، ويرجعُ تاريخُ هذه الإشارة إلى سنة (٢١٩هـ/ ٨٣٣م)[٣٩].

٢- الإشارة إلى «فتح عَمورية»[٤٠]، وقد جرى هذا الفتحُ سنة (٢٢٣هـ/ ٨٣٧م)[٤١].

٣- الإشارة إلى «صلب بابك الخرّميّ»[٤٢]، وتقعُ هذه الإشارة في السّنة نفسها التي تم فيها فتحُ عَمورية[٤٣].

٤- الإشارة إلى «صلب مازيار طبرستان»[٤٤]، وتعود هذه الحادثةُ إلى سنة (٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)[٤٥].

٥- الإشارة إلى «ثورة جعفر الكُرديّ»[٤٦]، وقد اندلعت هذه الثورةُ سنة (٢٢٧هـ/ ٨٤١م)[٤٧].

وهكذا، يؤكدُ مجيء هذه الإشارات في الرّسالة أنّها لم تُكتب إلاّ بعد انقضاء خلافة المُعتصم، أي بعد سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م. وهو ما يقودُ الدّارسَ إلى القول إنّ الجاحظ فرغ من تحرير رسالته هذه في خلافة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤١-٨٤٦م)، وربما وجّهها الجاحظُ إلى هذا الخليفة في صَدْرِ خلافته تقرّباً وتزلّفاً، وقد يكون من دليلٍ على ذلك الإشارة في آخر الرّسالة إلى قُرب عهد الواثق بالخلافة: «وصادف زماناً جمَّ العجائب، كثيرَ الغرائب، فعرف في أيامٍ يسيرةٍ، ما لم تعرفه المُلُوكُ في السِّنين الكثيرة»[٤٨]، ومن ذلك أنّ الجاحظَ اقتصر في مناقب هذا الخليفة على تعداد صِفاته النفسيّة وخصاله

السُلوكيّة الحميدة، وكأنّما يشيرُ ذلك إلى أنّ الجاحظ لم يجد ما يتحدثُ عنه من أعمالِ الخليفة؛ لقُرب عَهده بالخلافة.

وعليه، يُمكن ترشيح سنة (٢٢٨هـ/ ٨٤٢م)، أو السّنة التي تليها، لتكون تاريخاً مُقارباً أنجز فيه الجاحظُ رسالته، وقدّمها إلى الخليفةِ الجديد.

مَوْضوعُها

تَكْشفُ هذه الرّسالةُ عن مَلْمحٍ مُهمٍّ من ملامحِ مَذْهب الجاحظِ السياسيٍّ[٤٩]، ويستوي هذا الملمحُ على فكرةِ الانتصار للدّعوة العباسيّة، وتأييدِ سُلطانها، والتّنويه برجالها. فقد كان الجاحظُ مؤمناً بسياسةِ العباسيينَ وآرائهم، مُناهضاً الدّولةَ الأُمويّة البائدة، لا يتركُ سانحةً حتى يكتبَ في الاحتجاجِ للخلافةِ العباسيّة، مُفارقاً بينها وبين خلافةِ الأمويين، وقد تجلّى هذا الموقفُ منذ مطلعِ الرّسالة حين راح الجاحظُ يَنْسجُ شيئاً من خُيوط هذه المُفارقة[٥٠].

يرى الجاحظُ أنّ المؤهلاتِ السياسيّة والحضاريّة والبشريّة والأدبيّة التي اجتمعت للدّولة العبّاسية تفوقُ ما كان اجتمع للدّولة الأُمويّة من هذه المؤهلات[٥١]، حتى أضحت الخلافة العباسيّة أزهى من سابقتها بما حازته من جليل المناقب وعظيم المآثر التي عَفّت على ما صنعه بنو أُميّة من جلائل الأعمال. وعلى الرُّغم من عداء الجاحظِ للأُمويين وموقفه المُتشدد مِنْهم فإنّه لم يسلبهم الفضلَ تماماً، فقد أثبت طرفاً من مآثرهم، وإن كان جعل مآثرَ العباسيين فوقها[٥٢]. ووقف الجاحظُ في موطن آخر من الرّسالة فجعل المأمون وعبدالمَلِك بن مروان في منزلةٍ واحدةٍ[٥٣]، وهو ما يشير إلى بعض ما كان ينماز به

الجاحظُ من موضوعيّة جعلته يُنْصفُ عدوّه، بقَدْر ما تُطيقُ نَفْسُهُ.

يوجّه الجاحظُ في فاتحة رسالته سهامَ النقد إلى بعض الإخباريين المعاصرين له، ولا يجد حرجاً من التّصريح بمشاهيرهم: كأبي عُبيدة مَعْمر بن المُثنى، والمدائنيّ، وابن الكلبيّ، والهيثم بن عدي(٥٤). ويرى أنّ هذا النّفرَ من أصحاب الأخبار لم يُحسنوا أُصول صنعتهم، إذ أقبلوا بنهمٍ مُفرطٍ على رواية الأخبار المُختلة التي لم تثبت صحتُها، وقد أفضى ذلك إلى اختلالِ ميزان النقد عندهم، إذ لم يميزوا صحيحَ الأخبار من ضَعيفها، وحسنها من رديئها(٥٥)، كما أنّهم اقتصروا مع ذلك على القليلِ من الأخبارِ، حتى فاتهم فوتٌ كبيرٌ يدلُّ على أنّهم لم يستطيعوا تقديم الصُّورة الوافية لكثير من أحاديثهم الإخباريّة، ممّا أدى إلى تشويه الحقيقة وإفساد صُورتها الصّحيحة(٥٦).

ويدعو الجاحظُ إلى الإفادة من الرّواة الهاشميين في استقاءِ الأخبار المتعلقة بالدّعوة العباسيّة، إذ هم أعلم من النّفر المذكورين سابقاً بالأخبار المروية في هذا المضمار، وهم بذلك أقدر على الوفاء بالحقيقةِ العلميّة، والكشف عن زيف ما أدخله الإخباريون على المرويات(٥٧). وواضحٌ أنّ الجاحظ يفتح الأعينَ ههنا على مَصْدرٍ جديدٍ من مصادر دراسةِ التّاريخ العباسيّ، من شأنه أن يكون عوناً على تبيّن ملامح الصُّورة العلميّة الموضوعيّة لهذا التّاريخ الذي يعتوره الدّس والتّزوير والتّلفيق والتّخليط، وغير ذلك من ألوانِ المسخ والتّشويه.

يستهل الجاحظُ حديثه بإرساء المبدأ العام الذي حفزه إلى كتابة رسالته، فهو يمضي في تقرير أفضلية الخُلفاء، ويجعلهم في منزلةٍ عليّةٍ لا تعلوها سوى منزلة الرُّسل والأنبياء(٥٨)، وكأنّما هو يربطُ بذلك بين دور هاتين

بموقفهم المناهض للاعتزال، ولا سيّما المهدي والرّشيد، فقد شُهرا بكُرههما للمعتزلة وما كان يذهبون إليه(٧٥). ولما كان الجاحظُ يعتقد مذهبَ الاعتزال ويؤمنُ بأُصوله، رأى أن يكون جلُّ مادة رسالته مقصوراً على مَنْ كان ذاهباً مذهبَ المعتزلة من خُلفاء بني العبّاس. ومن هنا نال الحديثُ عن المأمون والمُعتصم والواثق قِدْحاً مُعلى، ولم يحز الحديثُ عن الخُلفاء الباقين إلاّ نصيباً ضئيلاً.

وتشيرُ هذه النّتيجة إلى أحد الأسباب التي حدت بالجاحظ إلى وضع رسالته، فهو ينطلق من رؤيته المذهبيّة السياسيّة، مُضمناً رسالته مآثرَ الخلافة العباسيّة في طورها الاعتزاليّ، مُحاولاً المُفارقةَ بين هذا الطّور والطّور الذي تقدّمه، وهو الطّور الذي أضرب الجاحظُ عن سوق مآثره؛ ليبرز مدى التّفوق الذي تناهت إليه الدّولة العباسيّة في المُدة التي اعتنق خُلفاؤها مبادئ المعتزلة وآراءهم في السّياسة والدِّين.

يتدرّجُ الجاحظُ في تناول مناقب الخُلفاء العباسيين الخمسة الذين عَرَضَ لهم في رسالته ناظراً إلى النّسقِ التاريخيّ، فهو يبدأ بالسّفاح(٧٦)، ثم ينتقلُ به الحديثُ إلى المنصور(٧٧)، وسرعانَ ما يتحولُ إلى المأمون(٧٨)، قافِزاً عن الحلقة المُشار إليها، ويقف الجاحظُ عقب ذلك عند المُعتصم(٧٩)، ويختتم رسالته بالحديثِ عن الواثق(٨٠).

أمّا حديثُهُ عن الخليفة العباسيّ الأوّل أبي العبّاس السّفاح، فينطوي على إعجابٍ شديدٍ بشخصه وخُلقه، والإشادة بسيرته طفلاً وشاباً وكهلاً(٨١). ويحشد الجاحظُ في هذه السّبيل طائفةً من الخِصال الحميدة التي اجتمعت في

فالواثق[٧٠]، تجد أنّ الحديثَ عن السّفاح يَقْصُرُ دون ذلك بكثير[٧١]، وأمّا الحديثُ عن الخليفةِ المنصور فلا يتجاوز كلماتٍ يسيرةً[٧٢]، لا تقوم – في الظّاهر – بحقّ هذا الخليفة الذي يُعدُّ مؤسسَ الدّولة العباسيّة ومُرسي أركانها.

وبالمثلِ، تبدو قيمةُ هذا الحديث شديدةَ التّفاوت، إذ يبدو الحديثُ عن الخليفتين الأولين أقل قيمةً من حديثه عن الخُلفاء الثلاثة الآخرين، وسببُ ذلك أنّ حديثه عن هؤلاء يُمثل شهادةَ عيانٍ تصدرُ عن رجلٍ عاش الأُمور وواكب أحداثها بنَفْسِه، فجاء كلامُهُ من واقع ما شاهده ووقف عليه، وأمّا حديثُهُ عن السّفاح والمنْصُور فلا يرقى قيمةً إلى مستوى حديثه عن الخُلفاء الذين عاصرهم، كونه استمد معلوماتِهِ عن هذين الخليفتين سَماعاً ورِواية، لا عياناً ومشاهدةً.

ويُلاحظ أنّ الجاحظَ لم يُورد شيئاً عن الخُلفاء: المهدي والهادي والرّشيد والأمين، على الرُّغم من حديثه عن الخُلفاء الذين سبقوهم كالسفاح والمنصور[٧٣]، والخلفاء الذين أعقبوهم كالمأمون والمُعتصم والواثق[٧٤].

ويُمكن تفسير هذا الملحظ بأحد أمرين: أوّلهما أنّ الحلقةَ التي تضمُّ الحديثَ عن هؤلاء الخُلفاء فُقِدت من أصل الرّسالة، وأخذت سبيلها إلى الضياع، فأفضى ذلك إلى بتر النصّ وفِقدان أجزاء مهمة منه. وثانيهما أنّ الجاحظَ لم يعبأ بالحديثِ عن هؤلاء عن وعي، قاصداً إلى الحديث عن مطلع الخلافة العباسيّة مُمثلاً بعهدي: السّفاح والمنصور، وإلى تخصيص القولِ بعد ذلك بالدور الاعتزاليّ المتمثل بخلافة: المأمون والمُعتصم والواثق.

ولعل ممّا يؤيد الأمر الثّاني أنّ الخُلفاء الذين سكت عنهم الجاحظُ عُرفوا

الطائفتين، ويُومئ من طرفٍ إلى أنّ «الخلافة» هي أقرب الحلقاتِ إلى «النُّبوة»، وأنّ الخلفاء يقومون مقامَ الأنبياء بعد انقطاعِ الوحي. ونظراً لتعلقِ الخُلفاء بحبلِ النبوة وتمسكهم بمراشدها، يضيف إليهم الجاحظُ كلَّ منقبةٍ حميدةٍ ورتبةٍ رفيعةٍ، ويراهم جديرين «بالثّناءِ والكرامةِ والرّفعةِ والفضيلة»[٥٩].

وبعد تقرير هذا المبدأ، يجد الجاحظُ الطريقَ سائغةً إلى الموضوعِ الذي عقد الرّسالة من أجله، فالاتّصال بالخُلفاء، والعمل في ظلّهم، والانقطاع إلى خدمتهم شرفٌ عظيمٌ وغايةٌ ساميةٌ يحوزها من تعلّق منهم بسببٍ، إذ هم القادرون على تحقيق ما يصبو إليه صاحبُ كلِّ أُمنية[٦٠]، وبهذا يعدُّ الجاحظُ «المنفعة» مسوغاً لاتصال العالِم بالسُّلطان، لما يضمنُ له ذلك من نشر علمه وتعريفِ الناس به، يقول «فكلُّ علمٍ لا يرفعونهُ مُتضَع، وكلُّ حكمةٍ لا يُنْبِهُونها خاملة، وكلّ سوقٍ لا تنفقُ عندهم كاسدة»[٦١].

ويأخذ الجاحظُ بعد هذه التّقدمةِ في تناولِ مناقب عددٍ من الخُلفاء العباسيين ممّن عاصرهُم، أو سبق عصرُهم عصرَهُ، وأمّا الخُلفاءُ الذين يتناولهم فهم على التّوالي: السّفّاح[٦٢]، والمنْصُور[٦٣]، والمأمون[٦٤]، والمُعتصم[٦٥]، والواثق[٦٦]. أمّا السّفّاحُ، فالمعروف أنّ خلافته كانت قبل مولد الجاحظ بنحو عشرين عاماً. وأمّا المنصورُ، فالمعلوم أنّ الجاحظ وُلِدَ في الشّطر الثّاني من خلافته[٦٧]. وأمّا المأمونُ والمُعتصمُ والواثقُ، فقد اتّصل بهم الجاحظُ اتّصالاً وثيقاً، ولزم أبوابهم، وانقطع إلى خِدْمتهم.

ويستأثر الحديثُ عن هؤلاءِ الخُلفاء بجُلِّ صفحات الرّسالة، ويبدو واضحاً أنّ هذا الحديثَ يتفاوتُ تفاوتاً لافتاً. ففي حين يحظى الحديثُ عن الخليفة المُعتصم[٦٨] بأكبر نصيبٍ، يتلوه الحديثُ عن الخليفة المأمون[٦٩]،

شخصية السّفاح، كالعِفة[٨٢]، وعلو الهمة[٨٣]، والاعتدال[٨٤]، والقناعة[٨٥]، والنّزاهة[٨٦]، والحِلْم[٨٧]، والوقار[٨٨]، والتّواضع[٨٩]، والكرم[٩٠]، والنّجدة[٩١]، والأصالة[٩٢]، والثّبات[٩٣]، والأناة[٩٤]، والصّبر[٩٥].

ويشير الجاحظُ من طرفٍ إلى بعض المؤهلات العلميّة التي حازها السّفاح إلى جانب مناقبه النفسيّة كغزارة العلم[٩٦]، وعُمق الفهم[٩٧]، وفصاحة المنطق وقوة العارضة[٩٨]، وحُسْن الاستماع[٩٩]، والبصر في مسائل الدِّين والفقه فيها[١٠٠].

كما لا يفوت الجاحظَ أن يُومئ إلى بعض الملامح الجسميّة لهذا الخليفة، ولا سيّما عندما ترد الإشارةُ إلى ما حُبيه السّفاح من بَسْطةٍ في الجسم ووفرةٍ في الجُثّة[١٠١]، يجعلها الجاحظُ لازمةً لسعة العلم التي تقدّمت الإشارة إليها.

وأكثر ما يبدو لافتاً في حديث الجاحظ عن السّفاح استغراقه في نِسْبة الفعل إلى الذات الإلهيّة فيما يتعلق بفضائل الأخلاق التي أُتيها هذا الخليفة على نحو يُشبه ما يؤمن به أهلُ الجبر، فاللّه تعالى هو الذي طهّر السّفاح بالعفاف[١٠٢]، وهو الذي «زينه بالبسطة في العلم والجسم»[١٠٣]، وهو الذي ألبسه رداءَ الحلم ووقارَ السّكينة[١٠٤]، وهو الذي «ألقى عليه محبةَ التّواضع»[١٠٥]، وهو الذي «برّأه من الطّمع المُوقع»[١٠٦]، وهو الذي «حلّاه بحلية الجودِ والنّجدة»[١٠٧]، وهو الذي «أتاه الفقهَ في الدِّين والأصالةَ في الرّأي»[١٠٨]، وهو الذي «جعله زَكِيناً زِميتاً أديباً»[١٠٩]. ولولا أنّ المعتزلة كانوا يؤمنون بالاختيار، لصحّ لنا أن نسم الجاحظَ بمذهب الجبريّة بعد ما صوّر لنا أن كلّ شيء يصدرُ عن الإرادة الإلهيّة، وأنّه لا اختيارَ للسّفاح في ذلك.

لم ينزع الجاحظُ هذا المنزع من الحتم في حديثه عن الخُلفاء الآخرين الذين عَرَضَ لهم في هذه الرّسالة، أي أنّه جعل هذا الحتم موقوفاً على أوّل الخُلفاء العباسيين، ويبدو هذا التّوجيه مُتفقاً مع ما أشاعه العباسيون من أنّ اللّه تعالى هو الذي هيأ أمرَ الخلافة وساقه إليهم، وأنّه تعالى سَلَبَ الأُمويين هذه الفضيلة، واختار بني العباس لحملها. وتنسجمُ هذه النّظرة مع حديث الجاحظ عن اختيار اللّه للسّفاح ورعايته له قبل أن تقومَ للعباسيين قائمة(١١٠)، وكأنّما كان اللّهُ يتعهده ويُعدّه لولاية أمر المسلمين، بعد أن يُقضى على السُّلطان الأُموي!!

ويتحوّلُ الجاحظُ بعد هذه الوقفة إلى مناقب الخليفة التّالي أبي جعفر المنصور، وكما أشرت سابقاً يرد الحديثُ في هذا السياق مُبتسراً، إذ سرعان ما يطوي الجاحظُ هذه الصّفحة غير المكتملة من مآثر المنصور مُكتفياً بقوله: «وأمّا المنصورُ، فهو الذي لو عُدِلَ به جميعُ المُلوك حزماً وعزماً وحلماً لرجح بهم رُجحان الثّقيلِ بالخفيفِ، والكثيرِ بالقليلِ، والكبيرِ بالصغيرِ»(١١١).

ومع أنّ هذه الكلمات القليلة تبدو للوهلة الأُولى غير موفرةٍ على هذا الخليفة منزلته السّامقة بين الخُلفاء العباسيين، بيد أنّ عباراتها المُكتنزة القائمة على إرسال المعاني الوفيرة في الألفاظ اليسيرة تدلُّ على أنّ الجاحظَ يجعل المنصورَ في أعلى منازل المُلوك، بل يتجاوزُ الأمر إلى وضع المنصور في إحدى كفتي الميزان وسائر المُلوك في الكفّةِ الأُخرى، مع شديد التّأكيد على رُجحان كفّته على كفّتهم(١١٢).

ويضع الجاحظُ يده على ثلاثٍ من أهمّ خِصال المنصور وأسماها قدراً، وهي: الحزم والعزم والحِلم(١١٣)، وتكاد هذه الخِصالُ تكونُ لُبَّ أخلاقِ

السُّلطان وأخطرها في تسيير حياةِ الدُّول، ولعل هذا ما دعا إلى ترجيح كفّة المنصور، كما رأينا في المقطع الآنف.

وينتقل الجاحظُ إلى الحديث عن المأمون، وما اجتمع في شخصه من سَني الأخلاق وحميدها، كالجود[114]، والعفو[115]، والبرّ[116]، والحلم[117]، والصبر[118]، والتّدبير[119]، والسّياسة[120]، والرّفق[121]، وأصالة الرأي[122]، والوفاء[123]، والعدل[124].

وتحظى شخصيةُ المأمون العالِم بأهميةٍ واضحةٍ، إذ يُثبت الجاحظُ طائفةً من المؤهلات العلميّة التي تجلت في شخصِ هذا الخليفة، وجعلته أعلمَ الخُلفاء العباسيين وأميزهم، ويتحدثُ الجاحظُ في هذا الجانب عن ثقافة المأمون الواسعة ومعرفته في ألوان العُلُوم[125]، وقُدرته على إزالة مُبهماتها ومُشكلاتها[126]، وما انماز به من المهارة اللسانيّة التي أكسبته فصاحةً وطلاقةً وبياناً وطبعاً[127]، جعلته كما يقول الجاحظ «واحدَ عصرِهِ وخطيبَ دهرِهِ»[128].

ولا يلتفت الجاحظُ في مناقب المأمون إلى شيء التفاته إلى ما نهض به هذا الخليفةُ من جمع النّاس على مذهبٍ واحدٍ، هو مذهب المُعتزلة القائم على العدل والتّوحيد[129]. ولما كان الجاحظُ معتزليَّ المنزع والهوى، فقد كان بدهياً أن يعدَّ ما قام به المأمونُ من إكراه النّاس على الأخذ بمبادئ الاعتزال ومقالاته أهمَّ أعماله غير مدافع.

ويبدو أنّ حديثَ الجاحظ يشيرُ إلى ما عُرف تاريخيّاً بمحنة أو فتنة خلق القرآن، ومع غضّ الطّرف عن مُلابسات هذه القضية الشّائكة، وما نجم عنها

من نتائج خطيرة، يُصور الجاحظُ الحادثة تصويراً إيجابيّاً يُعبّر عن رُؤيته الأُحاديّة للموضوع[١٣٠]، وهي رُؤيةٌ تنسجمُ مع مذهب المعتزلة الذين حاول كُتّابهم، وفي مُقدمتهم الجاحظ، أن يخلعوا على تلكم القضية لَبُوساً حسناً يكاد يُشبه اجتماع الأُمة بمذاهبها وفرقها على كلمةٍ سواء. وهذا ما عبّر عنه الجاحظُ صراحةً حين تحدّث عن تأليف المأمون بين المعتزلة والنابتة (من أهل السُّنة) والأزارقة (من الخوارج) والرّوافض (من الشّيعة)[١٣١].

ويجعل الجاحظُ زمانَ المأمون أشدَّ الأزمنة فساداً في الاعتقاد، وتخليطاً في القول، واضطراباً في سُلوك العامة، ممّا وضع الخليفةَ أمام امتحان قاسٍ، فخاض غِمارَ معركة الإصلاح بنفسه، وصرف غايةَ جهده إلى استنقاذ الناس وردّهم إلى الصّواب[١٣٢]، ولم يزل يأخذهم بحُسن سياسته ورأفته ومُداراته، ويُعالج أهواءهم كما يُعالج الطّبيبُ الحاذقُ مرضاه[١٣٣]، حتى تمّ له ما أراد، إذ كان النجاحُ حليفه دوماً، واستتمامُ العمل ديدنه: «وهل وَضَعَ أصلاً لم يُفرّعه، ورُكناً لم يُشيّده، وأمراً لم يستتمه»؟![١٣٤].

ويقف الجاحظُ وقفته الرّابعة عند المُعتصم[١٣٥] مُسترسلاً في الحديث عن مناقبِ هذا الخليفة على نحو يطولُ أكثرَ من وقفته عند غيره من الخُلفاء الذين عرضت لهم الرّسالة. ويبدو أنّ معاصرةَ الجاحظ هذا الخليفةَ وفّرت له غنىً في المادة، جعله قادراً على الإطالة والإطناب ومدّ أطراف الحديث، يقول: «وأمّا المعتصمُ، فلو شئنا أن نُطيلَ الذكرَ، ونُطنبَ في الوصف لوجدنا إلى ذلك أنهج السُّبل، وأسهل الطُّرق، وأتمَّ الأسبابِ، وأكبر الأعوان، وأظهر الحُجج، ولذكرنا المعروفَ غير المجهول، والظاهرَ دون الباطن»[١٣٦].

يعرض الجاحظُ صفحةً مشرقة من صفحات المُعتصم الشّخصية

والنفسيّة، كحُسن العشرة[١٣٧]، والإنصاف[١٣٨]، واللين[١٣٩]، والحلم[١٤٠]، والصّبر[١٤١]، والوضوح[١٤٢]، والاستقامة[١٤٣]، والحزم[١٤٤]، والعزم[١٤٥]، ورباطة الجأش[١٤٦]، وشجاعة القلب[١٤٧]، والبركة[١٤٨]، واليُمن[١٤٩]، والجود[١٥٠].

وتقابلُ هذه الصّفحة صفحةٌ مماثلةٌ يُودعها الجاحظُ طائفةً من صفات المُعتصم الجسميّة كجمال الوجه، وبهاء المنظر، وحُسن القوام، وتمام الهيئة[١٥١]. وتلتئم هاتان الصفحتان في تشكيلِ صُورة إيجابيّة لما يبدو ظاهراً من ملامح الخليفة، ولما يتراءى باطناً من أخلاقه النفسيّة.

وتضيء الرّسالةُ بعضَ جوانب شخصية المُعتصم الحاكم، كالقيام على أمر الرعيّة، والعناية بشؤونها، و«التّفقد لحال الصغير والكبير»[١٥٢]، والمعرفة بإدارة الدولة و«العلم بالخراج وعمارة البلاد، وما يُحملُ من الوظائف وأبوابِ المال ومصلحة الثُّغور»[١٥٣]. ومن ذلك حُسن سياسته الناسَ بالعدل والإنصاف، وإعطاء الحقوق لأصحابها، والتّأليف بين الفُرقاء، ومعرفة أقدار الناس ومنازلهم: «لم يمتحن إلاّ صاحب ظُنة، ولم يوقع إلّا بعد زوالِ الشُّبهة، يوفي الأشراف حُقوقَ أقدارهم، ويزيدهم فوق استحقاقهم، ويُؤلف بين قُلوب المُختلفين، ويزيدُ في بصيرة المُتفقين»[١٥٤].

ويوجّه الجاحظُ الأنظار أيما توجيهٍ إلى منقبةِ المُعتصم الأُولى المُتمثلة بحُنكته العسكريّة وجهاده الطويل وكثرة فتوحاته التي أكسبته شُهرةً ومهابةً وقوةً ومحبةً[١٥٥]. ويبدو الجاحظُ مملوءاً بالإكبار من قدرِ هذه الفتوح والإعلاء من منزلتها، كونها تخص الأُمة الإسلاميّة بأسرها، فهي «إسلاميّة جماعيّة»[١٥٦]، «تعم الأُمة بالسُّرور والرعية بالمحبة والحبور»[١٥٧]. ويتجاوز

الزهو بالجاحظِ هذا الحدّ حتى يخلعَ على هذه الفتوح جلائلَ الأوصاف: «وهي التي تصغر معها كبارُ الفتوح، وتدقُّ مع بهائها جِسامُ النعم، وما لها عيبٌ إلاّ أنها تضع من كلٍّ رفيعٍ وتصغر من كلّ جسيمٍ»[١٥٨].

ويسجلُ الجاحظُ في هذا السّياق ستةً من أهم الأعمال العسكريّة التي حامى فيها المُعتصم بشجاعته الفذة عن الإسلام والمسلمين، وهذه الأعمال هي: حرب مازيار صاحب طبرستان[١٥٩]، وإخماد الثورة الخُرميّة[١٦٠]، وفتح عمورية وهزيمة الرّوم[١٦١]، والقضاء على ثورة الزُّط[١٦٢]، واجتثاث حركة جعفر الكرديّ[١٦٣] وردّ خطر قراصنة البحر[١٦٤].

ويتراءى المُعتصمُ في هذه الصّفحة من مناقبه ذا عبقريةٍ حربيّةٍ فذة، يبذل جهوداً شخصيّة في سبيل إعداد الجُيوش وتجهيزها بآلات الحرب وعُددها من رجالٍ وخيلٍ وسلاحٍ، لما لهذا الإعداد من أثر معنوي ومادي في إنجاح المعركة وتحقيق الكسب العسكريّ[١٦٥].

ويطوي الجاحظُ وقفاته أخيراً بعرض ما عنّ له من مناقب الخليفة المعتزليّ الأخير الواثق بالله[١٦٦]، ويكاد الحديثُ عن هذا الخليفة يكون صُورةً مُقاربةً للصُّور الآنفة التي تُعنى بإبراز طِباع كلّ خليفة وفضائله السلوكيّة، كالعدل[١٦٧]، واليقظة[١٦٨]، وحبّ الخير[١٦٩]، والأصالة[١٧٠]، والعقل[١٧١]، والجود[١٧٢]، وطِيب العِشْرة[١٧٣]، والمروءة[١٧٤]، ورهافة الحسّ[١٧٥].

كما ترد الإشارةُ بالمثل إلى عددٍ من ميزاته العلميّة وأهمها «إيثار العلم على كلّ لذة، والبيان على كلّ صناعة»[١٧٦]، فضلاً عما حازه من الفهمِ العميقِ المثيرِ للعُجْب[١٧٧]، وحُسنِ المَلَكة[١٧٨]، وصفاءِ الذهن[١٧٩]، ودقةِ النّظر[١٨٠].

ولا تكاد تنقضي هذه الصّفحة من خِصال الواثق حتى يُشار من جانب إلى بعض المقومات التي شكّلت ملامحَ شخصيته بوصفه حاكماً وراعياً مسؤولاً عن غيره، ومن هذه المقومات: حبّ الرعية[١٨١]، وردّ المظالم[١٨٢]، والتّدقيق في السّؤال عن كل الأُمور والفحص عنها وتعقّبها[١٨٣]، والإقبال على العمل بالخير واجتناب الشرّ[١٨٤]، والتّعهد لحال أتباعه[١٨٥]، وجمع شمل العامة[١٨٦]، وإنزال الناس منازلهم وأقدارهم[١٨٧]، والاحتكام إلى سُلطان الحقّ في إنفاذ أُمور الرعية وتصريف شُؤونها[١٨٨].

ولعله استبان بعد هذا الشّوط الذي قطعناه في البحثِ عن مادة الرّسالة، وما اشتملت عليه من رُؤى ومواقف، أنّ الجاحظَ أورد رسالته موردَ المدح، حتى إنّه ليجعل منها أُمدوحة نثريّة تُمجّد الخُلفاء العباسيين، وتستغرقُ في إضفاء هالةٍ بديعةٍ على شخصياتهم ونفسياتهم وسُلوكهم ومؤهلاتهم وأعمالهم الإيجابيّة.

وبعدُ، فماذا عسانا نحكم على هذه الرّسالة، وبأي طابع يمكن أن نسم هذا الإغراق في الثّناء على أرباب السُّلطة، وتصويرهم بما يُوحي الطبيعة «الكاملة» العارية عن العُيُوبِ والنقائصِ، أترانا نقول إنّ الجاحظ أجاد «الغزل السياسيّ» القائم على المُداهنة والتّملق، أم إنه كان صادقاً مع نفسه، موضوعيّاً في رُؤيته؟!

لقد قلنا آنفاً إنّ الرّسالة تشفُّ عن رُؤية الجاحظ السياسيّة، وهي رؤيةٌ قوامها الحماس لكلّ ما هو عباسيّ معتزليّ، ومِنْ هنا جاء حديثُهُ وافراً في الإشادة بالخلفاء العباسيين الذين كانوا يتخذون الاعتزالَ نِحلةً، وهم: المأمون والمُعتصم والواثق، ولكن ذلك لا يُلغي أنّ الجاحظَ كان يتغيا مدح السّاسة من

خُلفاء ووزراء وقوّاد، ويتزلف لديهم، تحقيقاً لمآربه الخاصة، ولعل ممّا يؤيد ذلك حديثُ الجاحظ المكاشف في مُستهل الرّسالة عن ارتياد سوق أصحاب الأمر والنهي(١٨٩).

أُسلوبُها

تتجلى في الرّسالة طائفةٌ من الملامح الأُسلوبيّة التي انطلى بها فنُّ الجاحظ العذب، ممّا يؤيد أن تكون الرّسالةُ من نتاجِ الجاحظ، كما سبقت الإشارةُ إلى ذلك.

وأوّل ما يلوحُ للنّاظر من هذه الملامح ترددُ أصداء المؤثر القُرآنيّ في بعض المواطنِ من الرّسالة، غير أنّه من اللافت في هذا اللون من التّأثر عدم تصريحِ الكاتب به، أو الإشعار بأنّه يقتبس اقتباساً واضحاً من النصّ القرآنيّ الكريم. وتبدو هذه الطّريقة من التّأثر غير المُفْصَحِ عنه أعمقَ فنيةً من المنحى الآخر القائمِ على مُجرد نقل الألفاظ بحذافيرها من غير إجراء بعضِ تحويرٍ يتطلبه السّياقُ الجديدُ المُغاير للسّياق القرآنيّ.

ومن أبرز الأمثلة التي يسري فيها هذا المستوى من استلهام السّياق القرآنيّ بألفاظه ومعانيه -مع إجراء ما يلزم من التقانات التي يستدعيها السّياق الحالي- قول الجاحظ مُطرياً على الخليفة العباسيّ الأوّل: «فأمّا السّفاحُ، فأول ما نذكره منه أنْ طهره اللّهُ -تعالى- بالعفافِ وليداً وناشئاً ورجلاً، وزيّنه بالبَسْطةِ في العلمِ والجسمِ والهمة والقصد والقناعة»(١٩٠). فالجاحظ ينظرُ في هذا المقطع إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ

الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١٩١).

تبدو المقاربةُ بين السّياقين واضحةً تماماً، ممّا يدلُّ على أنّ الكاتبَ كان يستحضرُ السّياق القرآنيّ ويصدرُ عنه، فصُورة المَلِك طالوت تتراءى قريبةً من صُورة الخليفةِ السّفاح، إذ تعهدتهما العنايةُ الإلهيّة، وجرى اختيار الأول مَلِكاً على بني إسرائيل، والآخر خليفةً على بني العبّاس، وجُعِل الثّاني على شاكلة الأوّل من جهة سَعة العلم التي لا بدّ منها لمن يُدبّر أمر المُلك، ومن جهة جسامة البدن وانبساطه لما تُحدثه هذه الصّفة من هيبة القُلوب وملء العين جهارةً.

وظاهرٌ أنّ السّياقين يمتحان من المعينِ نفسه، وأنّ عبارةَ «بسطة في العلمِ والجسم» وردت بنصّها في الموقفين، واستعيرت للوفاءِ بحقِّ طالوت والسّفاح سواءً بسواءٍ. بيد أنّ السّياق القرآنيّ جعل علمَ طالوت وجسامته من قبيل الفَضْل الذي يمتن به الربّ على عبده، بينما فارق الجاحظُ هذا المعنى، وخرج به إلى معنىً جديدٍ، فجعل علم السّفاح وجسامته من قبيل الزّينة التي يتحلّى بها العبد.

ويطالعنا تَفَيُّؤُ ظلال النصّ القرآنيّ الكريم مرةً أُخرى حين يعرض الكاتبُ صفحةً من جهادِ الخليفة المُعتصم في سبيل اللّه، يقول: «ولولا أنّا عاينّا لاحتجنا منْ تتابعِ الأخبار وترادفِ الدّلائل إلى ما لم يحتج إليه في جليلِ الاسم ولا صغيره، ولا إلى العتادِ والعُدّة، وما أعدّ لعدوكم من رباطِ الخيل ونُجب الرّجال»(١٩٢). ولا شك أنّ الكاتبَ ينساب ههنا في فضاء الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(١٩٣).

وتبدو الأُلفةُ بين النّسقين وثيقةً، ولا سيّما عند الحديث عن الاستعداد الماديّ لحرب العدو، وتخصيص رباط الخيل في الموضعين. وكأنّما نستشفُّ من ذلك أنّ المُعتصم استجاب للأمر الإلهيّ (وأعدوا)، وفهم معنى تخصيص (رباط الخيل)، وأخذ ذلك مأخذَ الإنفاذ، فكانت عُدته وعتاده على مُقتضى ما تضمنه الخطابُ السّماويّ.

وإلى جانبِ هذا الملمح، يشحنُ الجاحظُ رسالته بفيضٍ من الثّنائيات المُتقابلة التي تهدف إلى إثراءِ الفكرة وتعميقها وتوضيحها في نفس القارئ، ويُمكن للباحث أن يمضي في لمّ شعث طائفةٍ من المُقابلات التي أجراها الكاتبُ في رسالته على هذه الصُّورة:

الارتفاع/ الاتضاع[١٩٤]

النّفاق/ الكساد[١٩٥]

عربيّة/ عجميّة[١٩٦]

بنو العباس/ بنو مروان[١٩٧]

قليل/ كثير[١٩٨]

ممزوج/ خالص[١٩٩]

الباقي/ الفائت[٢٠٠]

الصّحيح/ الفساد[٢٠١]

الناشئ/ الرّجل[٢٠٢]

الصّمت/ النّطق[٢٠٣]

الكُره/ المحبة[٢٠٤]

الخفاء/ الغلو[٢٠٥]

البخل/ السّرف[٢٠٦]

التّثبط/ التّسرع[٢٠٧]

الثّقيل/ الخفيف[٢٠٨]

الكبير/ الصغير[٢٠٩]

الواضح/ المُشكل[٢١٠]

السّهل/ الوعر[٢١١]

الثلج/ النار[٢١٢]

الضبّ/ النون[٢١٣]

المعتزليّ/ النابتيّ[٢١٤]

الأزرقيّ/ الرافضيّ[٢١٥]

الخير/ الشّر[٢١٦]

مِفْتاح/ مِغْلاق[٢١٧]

آخر/ أول[٢١٨]

الأصل/ الفرع[٢١٩]

المعروف/ المجهول[٢٢٠]

الظّاهر/ الباطن[٢٢١]

مستضعف/ مهيب[٢٢٢]

الرّكن/ القوي[٢٢٣]

المحدود/ المُظفر[٢٢٤]

الخاص/ العام[٢٢٥]

المستعجمون/ الناطقون[٢٢٦]

العالم/ الجاهل[٢٢٧]

الأقصى/ الأدنى[٢٢٨]

الرغبة/ الرهبة[٢٢٩]

المختلفون/ المتفقون[٢٣٠]

العوام/ الخواص[٢٣١]

الصّواب/ الخطأ[٢٣٢]

الحقّ/ الباطل[٢٣٣]

أمر/ أحلى[٢٣٤]

عاجلة/ آجلة[٢٣٥]

الأيام/ السنون[٢٣٦]

الآباء/ الأجداد[٢٣٧]

فهذه ما تزيدُ على أربعينَ ثنائيّةً تدلُّ دِلالةً كافيةً على الحضورِ الكثيفِ لهذا الملمح في الرّسالة، بما يقيمُ في نهاية الأمر شبكةً مُمتدة من العلاقات

المتقابلة داخل النصّ، وليس ضرورياً في هذا اللونِ من العلاقاتِ أن يكون مُتناقضاً تماماً، فكثير من هذه العلاقات يتقابل من غير تناقضٍ، وكثير منها يتشابك ويتقاطع من غير تضاد.

وقد يكون من تفسيرٍ لهذا الإلحاح الشّديدِ على حشد الثّنائيات أنّ عدداً من الأُصول الفكريّة التي أقام عليها المعتزلةُ مذهبهم كانت تستوي على مثل هذه الثنائيات، كقولهم في «الوعد والوعيد»، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر»، ويبدو أنّ إكثار الجاحظِ من الثّنائيات كان مُندغماً مع ما كان يؤمنُ به من أُصول الاعتزال المعروفة، وفي مُقدمتها الأصلان المذكوران القائمان على ما يُشبه الثّنائيات التي شاعت في الرّسالة.

وما دُمنا في هذا السّياق، فلا بأسَ من الإشارة إلى بُروز أصداءِ أصلِ المعتزلة الآخر «المنزلة بين المنزلتين» في هذه الرّسالة أيضاً، إلى جانب ما عايناه من بُروز صدى الأصلين الآنفين. ولعل أوضحَ الأمثلة على صُدور الجاحظ عن هذا الأصل قوله في صفة السّفّاح «أحذر الناسِ بالطّريقة الواسطة العادلة، من السُّنة بين الخفاء والغلو، والجود بين السّرف والبُخل، والأناةِ بين التّثبط والتّسرع»[٢٣٨]، وهكذا يجعل الجاحظُ كلّ صفة من صفات السّفّاح محدودةً بصفتين أُخريين تحمل كلتاهما معنى سلبياً قائماً على الإفراط أو التّفريط، ثم يعمد إلى جعل تلك الصّفة المُستحسنة في نقطة الوسط بين الصفتين المذمومتين، وتُشكّل عند ذاك السُّنة وسطاً بين الخفاء والغلو، والجود وسطاً بين البخل والسرف، والأناة وسطاً بين التّثبط والتّسرع، بما يُفضي إلى تحصّل منظومة من «الأوساط» التي بنى عليها المعتزلةُ قولهم في «المنزلة بين المنزلتين» حين وضعوا مُرتكب الكبيرة في منزلةٍ وسطٍ بين المؤمن والكافر.

وإلى جانبِ الملمحين السّابقيْن يلقانا ثالثُ الملامحِ الفنّية القائم على التّصوير، وهو أحد العناصر الضّرورية في النصّ، كونه ينبض بالحياة، ويحملُ في طياته القدرة على تفجير الإيحاءات التي يريدُ الكاتب أن يُعبّر عنها بتحويلها إلى صُورٍ فنيةٍ جميلةٍ دالةٍ. والملاحظ أنّ الجاحظَ التقط صُوره من واقعه الماديّ المحسوس، فجاءت واضحةً مُشرقةً، لا يشوبها شيء من الغموض أو التعقيد الذي يرهق الذّهن، ويشتتُ جلاء الصُّورة.

تتراكم في الرّسالة ألوانٌ من التّصوير الفنيّ عن طريق الاستعارة أكثر ما يكون، وكأنّما كان الجاحظُ مُؤثراً تقانة التّشخيص على غيرها من تقانات التّصوير كالتشبيه المألوف مثلاً. فهو يجعلُ بسطةَ العلم والجسم زينةً يتزينُ بها المرء[٢٣٩]، ويجعل البيانَ في مكانه زينةً لصاحبه[٢٤٠]، وبالمثل يجعلُ الصّمت في مكانه زينةً مُماثلة للزينة السّابقة[٢٤١]، ونظير ذلك جعله الجودَ والنّجدة حِلْيةً يزهو بها الجوادُ الشّهم[٢٤٢].

ومن ذلك أنّه يجعلُ: الحلمَ رداءً يُلبس[٢٤٣]، والنّفسَ دابةً تُلجم[٢٤٤]، والزّمانَ شخصاً خائناً[٢٤٥]، والأيامَ شخصاً يأخذ ويسلب[٢٤٦]، والمجدَ إنساناً ذا خصالٍ حميدة[٢٤٧]، وسوءَ الاختيار مرضاً مُسقماً[٢٤٨]، والزُّطَ زرعاً اجتث أصلُهُ وذهبت نضارتُهُ[٢٤٩]، والآراء السّديدةَ شباباً قوياً[٢٥٠]، والحقوقَ ذات طعمٍ: مرٍّ وحلوٍ[٢٥١].

ويُصادفنا بعد هذا الملمح المُهم ملمحٌ رابعٌ لا يقلُ أهميةً عن سابقه، ويظهر هذا الملمحُ جلياً في تلك الضُّروب المُلونة من «الازدواج» الذي طَبَعَ به الجاحظُ أُسلوبه حتى أضحى -بحقّ- أهمّ ملامح طريقته الفنيّة[٢٥٢]. ويُلاحظ القارئ أنّ الجاحظَ يُشغف بهذا الأُسلوب شغفاً شديداً، فهو لا يكادُ يمضي في

رسالته يسيراً حتى يركبَ هذا المركب، ويطّرد له هذا المنحى اطراداً واسعاً، كما يتبدى من عدة مواضع، تطل أثناء قراءة النصّ.

والحقّ أنّ لهاثَ الجاحظ وراء الأُسلوب المتوازن القائم على توالي المُزدوجات كان مبعثه الرّغبة في إرساء طريقةٍ جديدةٍ في النثر العربيّ، تلائم العصر والذوق، وتجمع في طياتها صفاءَ اللفظ ونصاعته، ووضوحَ المعنى ودقته، فوق ما يُوفره هذا الأُسلوب من طاقاتٍ إيحائيّة وقيمٍ صوتيّة وموسيقيّة رائعة. ولا شك أنّ الأُسلوبَ الذي اشتقه الجاحظُ كان وليد ما عُرف عن الجاحظ نفسه من مؤهلاتٍ فذة كالموهبة والطّبع والبديهة والفصاحة، وقد أمدته هذه المؤهلاتُ بحبلٍ مُمتدٍ من القدرة اللغويّة الفائقة على التّعبير، فكانت تأتيه المعاني إذا استدعاها أفواجاً، وتنثال عليه الألفاظُ انثيالاً.

وأولُ ما يبدو من ضُروب المزدوجات في الرّسالة ضربٌ يستوي على الازدواج البسيط الذي تتّسق فيه كلُّ عبارتين مُتقابلتين اتّساقاً يشي بالتّعادل والتّساوي. مثال ذلك قوله في المأمون:

«فتطلبته الأمثال،

وتنازعت إليه الأقوال،

وحنّ إليه قلبُ الزّاهد،

وتاقت إليه نفسُ الرّاغب،

فهو جماعُ الخير ومِفْتاحه،

ورفاعُ الشرِّ ومِغْلاقه»(٢٥٣).

ولعله لا يخفى على النّاظر أنّ كلَّ عبارتين من هذه العبارات الست، التي وردت في النصّ مُتتالية، تتقابل تقابلاً تاماً، كما يظهرُ من التّدقيق في المواقع النحويّة لكلّ زوج من هذه الأزواج. فضلاً عمّا تحفل به بعضُ هذه الأزواج من تنغيم صوتي يمنح الازدواج بُعداً موسيقيّاً إضافيّاً.

ومن الشّواهد الأُخرى على هذا المُستوى من استعمال الأُسلوب المزدوج البسيط قوله في المُعتصم: «فقد رأيتم خيولَهُ وسلاحَهُ، على أنّه، إنْ كان أعدَّ ذلك، فإنّ أحبَّ الأُمور لديه أن تكونَ:

عُدّتُهُ وافرةً،

وقُوّتُهُ ناميةً،

وقاطعةً لأسبابِ الطّمع،

ومانعةً من خواطرِ الشّيطان»(٢٥٤).

وحين ننظرُ في هذا المثالِ نجد أنّ كلّ جملتين تُبنيان بناءً واحداً، وأنّ كلَّ لفظة في الجملة الأُولى تُصافح رفيقةً لها في الجملة الثّانية، تُشاكلها في المحل الإعرابيّ والصيغة الصّرفيّة في آن معاً، فكلمة عُدّتُهُ الواردة في الجُملة الأُولى تُقابلها كلمة قُوّتُهُ الواردة في الجملة الثانية، وكلتاهما اسم كان مرفوع اتصل به الضّمير، وكلتاهما مصدر، بمعنى أنّهما ينضافان إلى الفئة الصرفيّة نفسها. وكذا الأمر في كلمتي: وافرة ونامية، فهما تُعربان إعراباً واحداً، كما أنّهما تنتميان إلى الباب الصرفيّ نفسه.

ويُمكننا أن نكتشفَ الأمر نفسه في الجملتين الثّالثة والرّابعة، إذ تتألف

كلٌّ واحدةٍ منهما من العناصر النحويّة التالية: حرف العطف (الواو)، واسم معطوف على ما قبله منصوب (قاطعةً ومانعةً)، وحرف جر (اللام و من)، واسم مجرور بالكسرة الظّاهرة مضاف (أسبابِ وخواطرِ)، ومضاف إليه مجرور بالكسرة الظّاهرة (الطّمع والشّيطان). ونلحظ إضافةً إلى هذا الائتلاف الإعرابيّ ائتلافاً صَرفيّاً مُماثلاً.

وهكذا، نرى أنّ الجاحظَ يُسوي بين أطوالِ الجُمل الأربع الآنفة مُحققاً بذلك بعضَ الإيقاع الذي يثيرُ السّمع، ويداعبُ النّفسَ، ويشيعُ الصّفاء.

وأمّا الضّربُ الآخر من الازدواج الذي تراءى في الرّسالة، فهو الازدواج المُكثّف، ولعل ما يُميز هذا اللون من المزدوجات أنّه لا يقفُ عند المستوى البسيط المُتمثّل في تعادل عبارتين وتساويهما، بل يتجاوزُ ذلك إلى حشد عددٍ وافرٍ من أشباه هذه العبارات، حتى يصلَ الازدواجُ حدّاً من الإشباع والتكثيف يشفُّ عن قُدرة الكاتب على التّفكيرِ بحثاً عن طاقاتِ اللغة ورحابة مُعجمها اللفظيّ والمعنويّ.

ويشيعُ في مثل هذا اللونِ من الازدواج المُتلاحق أن يكون مُؤسساً على مُشاكلة لافتةٍ في النّحو والصّرف، وفي الوزن أحياناً، ولعل الجاحظَ لم يولع في هذه الرّسالة ولعه بتأسيس مزدوجاته على أفعل التّفضيل المُتعاقبة في إثر بعضها، كما يُطالعنا في قوله: «وأمّا المأمون، فكان واحدَ عصره، وخطيب دهره، أبين النّاسِ بياناً،

وأبسطهم لِساناً،

وأجودهم سخاءً،

وأفخمهم لفظاً،

وأكثرهم أدباً،

وأتمهم منقباً،

وأقلهم تكلفاً،

وأنداهم راحةً،

وأعظمهم عفواً،

وأوصلهم رأياً،

وأبعدهم غوراً». [٢٥٥]

ونستبينُ من النّظر في هذه الجُمل العشر المُتواردة أنّها تجري في ممرٍّ واحدٍ تُخْتار كلماتُهُ وألفاظُهُ اختياراً مدروساً، وتُسبك صيغُهُ وأبنيتُهُ سَبْكاً دقيقاً، إذ تتّحد هذه الجملُ في استهلالها بحرف الواو العاطف، ثم ترد فيها جميعاً صيغةُ التّفضيل على وزن «أفعل» مُتصلةً بضمير جماعة الغائبين «هم»، متلواً بالتمييز، وكأنّما يلحُّ الجاحظُ على هذا الباب من النّحو كونه يُحقق الغاية المُرادة، إذ هو يُزيل إبهاماً سبقه. ولا تتفاوت هذه الجملُ عقب ذلك تفاوتاً ظاهراً، بل تجنحُ على خِلاف ذلك إلى الاتّساق في الطُّول، فأكثرها تنضمُ على أحد عشر حرفاً، ممّا يوحي بغنى الجانب الصّوتيّ الذي يتسللُ إلى الأُذن من غيرِ عناء.

وقد تُبنى المزدوجات على صيغة التّفضيل مع إحلال المضاف إليه محلّ التمييز، كما نرى في قوله: «وأمّا المُعتصم، فلو شئنا أن نُطيلَ الذّكر، ونطنبَ

في الوصف لوجدنا إلى ذلك:

أنهجَ السُّبلِ،

وأسهلَ الطّرقِ،

وأتمَّ الأسبابِ،

وأكبرَ الأعوان،

وأظهرَ الحجج»(٢٥٦).

ولعل القارئ يجد أن هذه الجُمل الخمس القصار تتسلسلُ على شاكلةٍ واحدةٍ، كما مرّ في المثال الآنف، وأنّ الغايةَ لهذا الحشد من شأنها أن تؤكدَ القُدرة الفائقة على إشباع الفكرةِ بما يُشبه المترادفات التي يقوم بعضُها مقامَ بعضٍ، مع ما تشتمل عليه هذه الجمل من نسقٍ نغميٍّ لا يُعكر صفوَ السّامع. وقد يكون مُفيداً أن نُلاحظَ أنّ الكاتبَ استعمل أفعل التفضيل في هذا المثال وسابقه عاريةً عن «من»، على سبيل إثبات الصّفة العُليا للممدوح، لا الموازنة والمفاضلة بينه وبين غيره.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ النصّ غني بأمثلة أُخرى من الازدواج بشقيه: البسيط والمُكثّف، غير أنّ الدّارس اكتفى بالوقوف عند أبرز الأمثلة، ولم يشأ أن يمضي في عرض مزيدٍ منها؛ كون بعضها يفتحُ على بعض ويدلُّ عليه.

وعلى الرُّغم من جريان الجاحظ وراء الجُمل القصيرة المتوازنة، فإنه جنح أحياناً إلى استعمال الجُملة المُمتدة، كما يظهر في قوله: «ولولا أنّ دولةَ بني العباس صارت عجميّةً خُراسانيّة، وكانت دولةُ بني مروانَ عربيّةً أعرابيّة، في أجنادٍ شاميّة، والعرب أوعى لما تحفظ وتصنع، ولها الأشعار التي تقيدُ

عليها مآثرها، وتُخلدُ لها محاسنها، فثبت بذلك لبني مروان شرفٌ كبيرٌ، ومجدٌ تليدٌ وتدابير لا تحصى، لأربى مناقبُ ملك من مُلوك بني العباس على مناقب جميع مَنْ ولد مروان وأبو سفيان»(٢٥٧).

فهذا مثالٌ من جُملة أمثلةٍ في الرّسالة تتداخلُ فيه أساليب جمل مُلونة في سياق جُملةٍ طويلةٍ مُنفرجةٍ، يظهر تباعدُ ما بين شقيها عند التّدقيق في المسافة البعيدة بين فعل الشّرط وجوابه، ولعل هذا المنحى من الجُمل من شأنه أن يملأ فضاء النصّ بتفصيلاتٍ يحشدها الكاتبُ بين طرفي الجُملة، كما يشي هذا المنحى في الوقت نفسه بإمساك الكاتب زمام السّيطرة على بناء عباراته اللغويّة، حتى لا تتفلّت الجملةُ من بين يديه، كأن ينقطع الشّرط عن جوابه، أو يُجذم المبتدأ عن خبره، أو نحو ذلك.

وأدخل الجاحظُ -أحياناً- لوناً آخر طريفاً من الجُمل التي تترابطُ فيما بينها بنوعٍ لطيفٍ من العلائقِ المُتمثلةِ باشتقاق الجملِ اللاحقة من سابقاتها، أو ما يُمكن أن نسميه توالد الجمل من بعضها. ولعل ما يُميز هذا اللون من الجمل أنّه ينمُّ عن نزعةٍ كلاميّة مُتأصلة في الجاحظ المعتزليّ، تراءت أصداؤها صافيةً في أدبه، وظهرت بعضُ ملامحها في صُورة جُملٍ مُعبّرة تستجمع جمالاً وروعةً ومتعةً ودقةً.

ومن الشّواهد التي تنهض على هذا المنحى قول الجاحظ في صفة السّفاح:

«مُفهماً إذا قال،

فهماً إذا استمع،

يُزين صمتَهُ إذا صَمت بيانُهُ إذا نطق،

ويزين بيانَهُ إذا نَطَقَ صمتُهُ إذا صمت»[٢٥٨]

ومن ذلك قوله في وصف أخلاق المأمون: «وهل رأيتم:

أفعالاً أشبه بأخلاقٍ،

وأخلاقاً أشبه بأعراقٍ،

من أفعالهِ بأخلاقهِ،

وأخلاقه بأعراقهِ»[٢٥٩].

نُلاحظ في هذين المثالين أنّ الجملة الأُولى تفتح بؤرةً للجملة الثّانية، وأنّ الجملة الثّالثة تفتح بؤرة مُماثلة للجملة الرابعة، وأنّ الجملة التّالية تتفرعُ عن أُختها المُتقدمة، وكأنّما نحن أمام لون من الجُمل يُفضي بعضُه إلى بعض على ما يُشبه ضروب التّداعي والتّوالد والاشتقاق.

ولجأ الكاتبُ في بعض المواضع إلى استعمال أُسلوب الجُملة المُعترضة بما تنضم عليه من معاني التّفسير والإيضاح والتّفصيل والاحتراس والدّعاء، وبما يمكن أن يُفيده هذا الضّرب من الجمل من تلوين الأبعادِ الاجتماعيّة للفكرة، أو ما يحمله من مواقف شخصيّة تعبّر عن رؤية الأديب أو مُعتقده الخاص. ومن الشّواهد على ذلك قوله: «فأمّا السّفاح، فأول ما نذكره منه أن طهره اللّه- تعالى- بالعفاف وليداً وناشئاً ورجلاً»[٢٦٠].

فالاعتراض هنا يحمل دلالةً بينةً على اعتقاد الكاتب القائم على تنزيه الخالق عن مُشابهة خلقه، كما أنّ الاعتراض هنا يجلو ما قبله ويزيد في

إيضاحه. وعلى هذا النحو، يجري الاعتراضُ الآخر في قوله: «فقد رأيتم خيولَهُ وسلاحَهُ، على أنّه- إن كان أعدّ ذلك- فإنّ أحبَّ الأُمور إليهِ أن تكونَ عدتُهُ وافرةً»[٢٦١]، فالجملة المُعترضة في هذا الموضع تُقيّد المعنى احتراساً واحترازاً، وتمنحه بعضَ ما يحتاجه من إيضاحٍ وتفصيلٍ.

وآخر ما نُسجله من ملاحظَ على الأُسلوب إغراق الجاحظ في استعمال أسلوبي الاستفهام والشّرط، إذ ينتشران انتشاراً لافتاً في أنحاء النصّ، مما يشي أنّ الكاتب كان ميّالاً إليهما، مُؤثراً لهما على غيرهما من الأساليب الإنشائيّة الأُخرى.

أمّا الاستفهام، فقد تلونت منازلُهُ في النصّ بين التّقرير والتّعجب والتّهويل، مُحققاً قدراً من الإعلام بقصد إشراك القارئ في الإقرار بما يريد الكاتبُ قوله؛ لتتأكد الفكرة، ويزداد المتلقي قناعةً بها. ومع أنّ الجاحظ عدّد في أدوات الاستفهام التي استعملها في رسالته، فقد أشاع استعمال أداة الاستفهام «هل» أكثر من غيرها، يقول:

«فهل رأيتم كعقد أمانه وثبات عهده..................؟!

وهل رأيتم أفعالاً أشبه بأخلاق..................؟!

وهل سمعتم بأعدل منه في حُكمه..................؟!

وهل وضع أصلاً لم يفرّعه..................؟!»[٢٦٢].

ويقول على الشّاكلة نفسها:

«وهل علمتم أحداً نَصَبَ في خاصة نفسه حرباً؟!

وهل نَصَبَ له إلاّ من نَصَبَ للإسلام؟!

وهل عاداه إلاّ من عادى القرآن؟!

وهل رأيتم الحقّ والقول بالحقّ....؟!»[٢٦٣].

وتُشبه هذه الأداة «هل» أن تكون لازمةً يُفتتح بها كلّ استفهام من هذه الاستفهامات المُتلاحقة، ومن شأن هذا التّوحّد في الأداة والتّلاحق في استعمالها أن يُرسخَ الفكرة ويهبها مزيداً من القوة والثّبات.

وأمّا الشّرطُ، فهو- كسابقه- أُسلوبٌ مُفضلٌ لدى الكاتب، واستعماله بكثرةٍ يدلُّ على التّلازم في الفكرة بين الشّرط والمشروط عليه، تلازماً مُتتابعاً في حُدوثه وحُصوله تتابعَه في نسقه النحويّ. وكما أشاع الكاتبُ استعمال «هل» الاستفهاميّة، جنح ههنا إلى استعمال «لولا» الشّرطيّة، مُشترطاً على مُمكنٍ موجودٍ مطموعٍ فيه، يقول:

«ولولا أنّ دولةَ بني العباس صارت عجمية خراسانيّة.....

ولولا أنّ أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم في أهل الشام....»[٢٦٤].

«ولولا أنّا عاينّا لاحتجنا من تتابع الأخبار....»[٢٦٥].

ولا يفوت أن نُشير أخيراً إلى إكثار الجاحظ من استعمال «أمّا» للتّفصيل والتّفريعِ على سبيلِ الشّرط المُتلازم المقترن جوابه بالفاء في الغالب، وقد ورد هذا الاستعمال بضعَ عشرة مرةً في الرّسالة:

«فأمّا السّفاحُ، فأول ما نذكره...»[٢٦٦]

«وأمّا المنصورُ، فهو الذي..... [٢٦٧]

«وأمّا المأمونُ، فكان.....» [٢٦٨]

«وأمّا المُعتصمُ، فلو شئنا....» [٢٦٩]

«وأمّا الواثقُ باللّه، فهو الذي....» [٢٧٠]

«وأمّا جماله وبهاؤه، ......، فقد ....» [٢٧١]

«وأما عشرتُهُ وإنصافه، ....، فقد.....» [٢٧٢]

«وأمّا أيامُهُ الغرّ المشهورة، ....» [٢٧٣]

«وأمّا حزمُهُ وعزمُهُ، فقد ....» [٢٧٤]

«وأمّا الأيدُ والبطش، .... ، فقد ....» [٢٧٥]

«وأمّا العلمُ بالخراج، ....، فقد..........» [٢٧٦]

«وأمّا بركتُهُ ويمنُهُ، فقد ....» [٢٧٧]

«وأمّا اجتهادُهُ في أمر بيضتكم، ....، فقد.........» [٢٧٨]

وليس من شكٍّ في أنّ الإغراقَ في استعمال هذه الأساليب ونظائرها لا ينأى أن يكونَ ثمرة من ثمرات النّزعة الكلاميّة التي أشرنا إليها من قريب، وتتكئ هذه النّزعة الفاشية في أدب الجاحظ على أساليب المناطقة والجدليين، كالاشتقاق والتّوالد والتّفريع والاستدلال والتّوجيه والتّفصيل ونحوها.

النّسخة الخطيّة[٢٧٩] ومنهج إخراج النص

تقع هذه الرّسالة في مجموع خطي نفيس يحمل اسم «المُختار من كلام أبي عثمان الجاحظ»، توجد نسختُهُ الفريدة محفوظة في برلين تحت رقم (٥٠٣٢). وتضمّ هذه النّسخة عدداً من النُّصوص الجاحظيّة التي لم تأخذ سبيلها إلى النشر من قبل.

وعلى ما يبدو من قيمة هذا الأصل، فإنّ الدّارس لاحظ عدم انتشاره في أوساط المُختصين بدراسة تُراث الجاحظ وأدبه، ومِنْ أهم الذين وقفوا عليه: محمّد طه الحاجريّ وباول كراوس[٢٨٠]، وشارل بلاّ[٢٨١]، ومحمّد الدُّروبيّ[٢٨٢]. وقد حقق الحاجريّ من هذا المجموع رسالتين نشرهما في القاهرة في أواخر العقد الرابع من القرن المنصرم[٢٨٣]، ثم أعاد إخراجهما ثانيةً في بيروت أوائل العقد الثامن[٢٨٤]. وأخرج سمير الدُّروبيّ ومحمّد الدُّروبيّ رسالة منه في السّنة الفائتة[٢٨٥]، كما نشر محمّد الدُّروبيّ رسالة جديدة أُخرى منه في السّنة نفسها[٢٨٦].

وليس ثمّة ما يدلُّ على اسم الشّخص الذي عُني بجمع هذه المختارات من كلام الجاحظ في هذا الكتاب، وكلُّ ما نستطيع قوله إنّ الرّجل اطلع على طائفةٍ من كُتُب الجاحظ ورسائله، وانتخب قدراً صالحاً من عُيونها، من غير إفصاحٍ عن المنهج الذي كان يحكمُ هذا الاختيار.

تقع المخطوطة في مائة وأربعٍ وأربعين ورقة، قياسها (٢٣ × ٢٦سم)، ومتوسط عدد أسطرها سبعة عشر سطراً في الصّفحة، ويصل متوسط عدد كلماتها إلى ثماني كلمات في السّطر الواحد تقريباً. نُسخت بخطّ واضح جميل

مضبوط سنة (١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م) بقلم محمّد المقريّ، أو المصريّ. وليس في المخطوطة ما يشير إلى اسم جامعها، وعليها تمليكان أحدهما على الورقة الأولى، والآخر على الورقة الأخيرة. وجاء على الورقة الأُولى عنوان الكتاب واسم الجاحظ صريحين على هذا النحو «كتاب المُختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، رحمه اللّه آمين».

وتقع الرّسالة التي نحن بصددها في تسع صفحات[٢٨٧]، قبلها رسالة في الهجاء حقّقها الحاجريّ[٢٨٨]، وبعدها فُصولٌ تتحدث عن بعض الوزراء والقضاة والولاة في الدّولتين الأموية والعباسيّة أعكف على دراستها وتحقيقها.

وأمّا المنهج الذي سرت عليه في قراءة الرّسالة وتحقيقها تحقيقاً علمياً، فهذه أهم خطواته:

١- أثبتُّ النصّ من أصلٍ خطي واحدٍ هو كتاب «المُختار من كلام أبي عثمان الجاحظ» المخطوط في برلين تحت رقم (٥٠٣٢)، وقابلتُ على ما وجدته من مقاطعَ وفقراتٍ أوردها الجاحظ في «البيان والتّبيين» وبعض رسائله.

٢- اتّبعتُ الرسم الإملائيّ الحديث في كتابة النصّ.

٣- أشرتُ إلى نهاية وجه الورقة بخطٍّ مائل صُورته (/)، وإلى نهاية ظهر الورقة بخطين مائلين صورتهما (//). واتّخذت الحرف (ب) رمزاً لبطن الورقة، والحرف (ظ) رمزاً لظهرها.

٤- عُنيتُ بضبط النصّ ما وجدت سبيلاً إلى ذلك.

٥- نبّهتُ على ما وقع من أخطاء التّصحيف والتّحريف في النصّ، وأوردت الصّواب في المتن والخطأ في الحاشية.

٦- خرّجتُ ما شعرتُ بأهمية تخريجه من إشارات النصّ ومعارفه المختلفة، وأشرت إلى مصادر التّخريج.

٧- فسّرتُ ما جاء في النصّ من معانٍ أحسستُ بحاجتها إلى الإيضاح.

٨- قُمتُ بإعادة تفقير النصّ حسبما يقتضيه السّياق، وبما يخدمُ المعنى، ويريحُ القارئ.

٩- زودت النصّ بعلامات التّرقيم اللازمة؛ لضرورتها في فهم المعنى، وإرشاد القارئ.

١٠- قدّمتُ للنصّ بدراسةٍ ضافيةٍ تناولته توثيقاً وموضوعاً وفنّاً.

١١- أوردت نماذج من الأصل الخطي المُعتمد في التحقيق.

١٢- أفردتُ للمصادر والمراجع ثَبتاً في نهاية البحث.

نماذج من النسخة الخطية

و

النص



وبلغ كيد جميع المؤمنين

فصل

لا نعلم احدا بعد الائمة صلوات الله وسلامه
عليهم افضل من الخلفاء ولا احق بالثناء و
الكرامة والرفعة والفضيلة واغاثة
الناس ونتهى شرف المتشوف ان يحمدهم
ويتصل بهم فكل علم لا يرفعونه متضع وكل
جملة لا ينوهونها خاملة وكل سوق لا ينفق عندهم
كاسدة ولولا ان دولة بني العباس صارت
عجمية خراسانية وكانت دولة بني مروان
عربية اعرابية في اخبار شامية والعرب
اوعى لما تحفظ وتسمع واحفظ لما تاتي و
لابائها الشعراء التي تشيد عليها ماثرها وتخلد
لها محاسنها ثبتت بذلك لبني مروان شرف
كثير ومجد تليد وتدابير لا تحصى لا نرى
مناقبهم ذكر من ملوك بني العباس على مناقبه
جميع بني ولد مروان وابو سفيان ولو ان

اهل خراسان حفظوا على انفسهم وقايعهم في
اهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسات
كبرائهم وما جرى في ذلك من نوادر الكلام
ومن شريف المعاني كان فيما قال المنصور
فعل في ايامه وما استن لمن بعده وما ابتلي
لجماعة ملوك بني مروان ولقد تتبع ابو
عبيدة النحوي وابو الحسن المدايني وقبلهما
ابن الكلبي والهيثم بن عدي اخبارا فقد
اختلت واحاديث قد تقطعت فلم يدركوا
الا قليلا من كثير وممزوجا من خالص وعلى
حال فانا اذا امرنا الى نسبة ما رواه الحسن
ابن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن
موسى واسحق بن علي واسحاق بن سليمان
وايوب بن جعفر وحماد واخي ابن عمران السندي
عن السندي وعن صالح بن عبد المصلي و
عبد القدوس وعن مشيخة بني هاشم وعن
مواليهم عرفنا اشكالا لقلة كثرة ما فات

اللوحة رقم (٦٥) من المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ

وقد كان لآل عيان يغني عن الإسناد وظاهر
يغني عن السؤال، وقد كانت للخلفاء فتوح و
لكن لم يتفق لأحد مثل ما اتفق للمأمون وعبد
الملك بن مروان، ويحاكي بهما إنما كانت لحجة
قصدهما كهما، فقد بلغنا التحري في ذكر ما بلغنا
لم يتفق لأحد من ملوك الإسلام ۝ وللمعتصم
بالله ستة فتوح عظام جليلة، لم تجار فيها
وأحد منهم من الأئمة قصد الإسلام والمسلمين
دون تملكه خاصة فمن ذلك مازديار
ملك طبرستان بعد أن تغلب وقتل وتقحم
وسبى وتمكن من تلك القلاع والجبال
والمضايق المنيعة والسبل الوعرة حتى ظفر
به وقتله وصلبه ۝ ومن ذلك بابك فإنا
لا نعلم خارجيا في الأرض كان أشد عداوة
للإسلام وأهله والقرآن ومن قوله منه بعد
أن استفحل له السلطان وقتل القواد وأخرب
البلاد وبعدها أوقع القلوب من الهيبة

والمخافة، وتجرد له حتى أخذه أسيرا فقتله
وصلبه حيث مازديار ۝ ومن ذلك فتح عمورية
وهي ابنتا بنتي قسطنطينية، ثم هزيمة الطاغية
ثم أسره باطيس صاحب الصواحي بعد أن كان
بعد الغزاة والمطوعة شيئا فأسره وصلبه
إلى جنب بابك ومازديار ۝ ومن ذلك استباحة
الزط حتى اجتث أصلهم، وأبادوا خضراءهم بعد
أن منعوا بغداد الميرة وقتلوا القواد وسو
وغلبوا أهل البلاد، وأشق لعمري من قتل الأجناد
وقوادهم وأسرهم ما لم يتفق لأحد بعد أن
رامهم خليفة بعد خليفة ۝ ثم كان من أمر
جعفر الكردي وتغلبه وإخافته السبل وقطع
سبل المسلمين، وجرأته على السلطان ومحاربة
الأجناد حتى قتله الله على يديه ۝ ثم الذي
كان منه في صنائعه البصرة وشق الخندق من
أبطال المقاتلة، ومن قبل الغزاة وأخرب
السواحل على يدي عمرو بن الفضل الشيرازي

اللوحة رقم (٧١) من المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ

النص

لا نَعْلَمُ أحَداً بعد الأنْبِياءِ – صلَواتُ اللّهِ وسَلامُهُ عليهم – أفْضَلَ من الخُلفاءِ، ولا أحقَّ بالثّناءِ[١] والكَرامةِ والرِّفْعةِ والفَضيلةِ. وإنّما غايةُ النّاسِ، ومُنْتهى شَرفِ المُتشرِّفِ أنْ يَخْدِمَهُم ويتّصلَ بهم، فكلُّ عِلْمٍ لا يَرفعُونَهُ مُتّضَعٌ، وكلُّ حِكْمةٍ لا يُنْبِهُونها خامِلةٌ، وكلُّ سُوقٍ لا تَنْفقُ[٢] عندَهُم كاسِدةٌ.

ولولا [٣] أنّ دَولةَ بني العبّاسِ صارت عَجميّةً خُراسَانيّةً، وكانتْ دَولةُ بني مَرْوان عَربيّةً أعْرابيّةً، في أجنادٍ[٤] شامِيّةٍ[٥]، والعربُ أوعى لما تَحْفَظُ وتَصْنَعُ، وأحْفَظُ لما تَأتي، ولها الأشْعارُ التي تُقيدُ[٦] عليها مَآثرَها، وتُخَلّدُ[٧] لها مَحاسنَها، فَثَبتَ[٨] بذلك لبني مَرْوان شَرفٌ كبيرٌ[٩]، ومجدٌ تَليدٌ[١٠]، وتَدابيرُ لا تُحْصى، لأربى [١١] مَناقبُ مَلِكٍ من مُلُوكِ بني العبّاسِ على مَناقبِ جَميعِ مَنْ وَلَدَ مَرْوان وأبو سُفْيان.

ولولا أنّ / (٦٥ظ) أهلَ خُراسانَ حَفِظُوا على أنْفسِهِم وقائِعَهُم في أهلِ

(١) لعلها: السّناء.

(٢) في الأصل: ينفق.

(٣) من هنا يبدأ الاقتباس عن البيان والتبيين: ج ٣، ص ٣٦٦ – ٣٦٧.

(٤) في الأصل: أخبار، ورجحت ما في البيان والتبيين.

(٥) في الأصل: سامية، ورجحت ما في البيان والتبيين.

(٦) في الأصل: ولا بالشعراء التي يقيد، ورجحت ما في البيان والتبيين.

(٧) في الأصل: يخلد.

(٨) البيان والتبيين: فبنت.

(٩) المصدر نفسه: شرفاً كبيراً.

(١٠) المصدر نفسه: مجداً تليداً.

(١١) غير واضحة في الأصل.

الشّـامِ، وتَدْبيـرَ مُلُوكـهِم، وسِيـاسـاتِ[١٢] كُبـرائِهم، ومـا جـرى فـي ذلك مِنْ فرائد[١٣] الكَلامِ، ومِنْ[١٤] شَريفِ المَعانِي، كان فيما قال المَنْصُورُ وفَعَلَ[١٥] في أيامِهِ، وما[١٦] أسّسَ لِمَنْ بَعْدَهُ، مَا يفي بجماعة[١٧] مُلُوكِ بني مَرْوان.

ولقد تتبّعَ أبو عُبيدةَ النَّحْويّ[١٨]، وأبو الحَسنِ المدائنيّ[١٩]، وهشامُ بن الكَلْبيّ[٢٠]، والهيثمُ[٢١] بن عَديّ[٢٢]، أخْبـاراً قد اختَلَتْ[٢٣]، وأحَـاديثَ قد

(١٢) البيان والتبيين: سياسة.

(١٣) في الأصل: فوائد، ورجحت ما في البيان والتبيين.

(١٤) ساقطة من البيان والتبيين.

(١٥) البيان والتبيين: وما فعل.

(١٦) ساقطة من البيان والتبيين.

(١٧) في الأصل: وما أبقى لجماعة، ورجحت ما في البيان والتبيين.

(١٨) هو مَعْمر بن المثنى، من موالي تيم، أحد علماء اللغة والأدب في زمانه، ولد في البصرة، عُرف بتعصبه على العرب، صنف ما يزيد على مائتي مصنف، توفي في البصرة سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م. (انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٣، ص٢٥٢، ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء: ج١٩، ص ١٥٤-١٦٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٥، ص ٢٣٥-٢٤٣).

(١٩) هو علي بن محمّد بن عبدالله، أصله من البصرة، سكن المدائن فنسب إليها، من الرواة المؤرخين، له ما يزيد على مائتي كتاب ضاع جلُّها، توفي في بغداد سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م. (انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٢، ص ٥٤، ياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٤، ص ١٢٤-١٣٩).

(٢٠) هو هشام بن محمد بن السائب، أبو المنذر الكلبيّ، من الكوفة، عالم مؤرخ، له مؤلفات كثيرة، توفي في الكوفة سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م. (انظر: الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج١٤، ص٤٥، ياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء: ج١٩، ص ٢٨٧-٢٩٢، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٦، ص ٨٢-٨٤).

(٢١) في الأصل: الهشم.

(٢٢) هو أبو عبدالرحمن الطائيّ، مؤرخ عالم بالأدب، جالس الخلفاء العباسيين ونقل أخبارهم، ترك عدداً وافراً من المؤلفات، توفي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. (انظر: ابن قتيبة، المعارف: ص ٥٣٨-٥٣٩، ياقوت الحموي، معجم الأُدباء: ج ١٩، ص ٣٠٤-٣١٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج ٦، ص ١٠٦-١١٤).

(٢٣) البيان والتبيين: اختلفت.

تقطّعتْ، فلم يُدركوا إلاّ قليلاً مِنْ كثيرٍ، ومَمْزوجاً مِنْ خالصٍ.

وعلى حالٍ، فإنّا إذا صُرنا إلى بقيةٍ ممّا[٢٤] رواه العباسُ بن مُحمّد[٢٥]، وعبدُالمَلِكِ بن صالح[٢٦]، والعباسُ بن موسى[٢٧]، وإسحاقُ بن عيسى[٢٨]، وإسحاقُ بن سُليمان[٢٩]، وأيوبُ بن جعفر[٣٠]، وما رواه إبراهيمُ بن

---

(٢٤) المصدر نفسه: ما.

(٢٥) هو أبو الفضل، العباس بن محمّد بن علي العباسيّ، أمير عباسيّ، أخو السفاح والمنصور، تولى الشام في عهد المنصور والرشيد، حارب الروم وجالدهم، عُرف بجودة رأيه، توفي في بغداد سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م. (انظر: ابن قتيبة، المعارف: ص ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨١، الخطيب البغداديّ، تاريخ بغداد: ج ١، ص٩٥، ج١٢، ص١٢٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج٢، ص١٢٠).

(٢٦) أمير عباسيّ، تولى الموصل والمدينة ودمشق، تحرك ضد الرشيد في طلب الخلافة فقبض عليه وأودعه السجن، أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة، توفي سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م. (انظر: الكتبيّ، فوات الوفيات: ج٢، ص ٣٩٨-٤٠١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج٢، ص٩، ١٥١).

(٢٧) هو العباس بن موسى بن عيسى الهاشميّ، أمير عباسيّ، تولى مصر للمأمون، توفي فيها سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥م (انظر: الكنديّ، الولاة والقضاة: ص١٥٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ١، ص ١٦١).

(٢٨) هو إسحاق بن عيسى بن علي العباسيّ، من الأُمراء العباسيين، بليغ مفوه، ولي المدينة مراراً للمهدي والهادي والرشيد، واستعمله الرشيد على البصرة، توفي بعد سنة ٢٠٠هـ/ بعد ٨١٥م (انظر: الطبريّ، تاريخ الأُمم والملوك: ج٨، ص٨٩، ١٠٥، ١٦٥، ١٩٢، ٣٤٦، ٣٧٠، ٥١١).

(٢٩) هو إسحاق بن سليمان بن علي العباسيّ، أمير عباسيّ، ولي المدينة المنورة ومصر والسند في عهد الرشيد، توفي بعد سنة ١٧٨هـ/ بعد ٧٩٤م. (انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج٢، ص ٨٧).

(٣٠) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسيّ، أمير عباسيّ بصير بأنساب قريش وأخبارها، عليم بالدولة العباسية وأسرارها، كان يرى رأي النظام. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ج٦، ص٧٨، البيان والتبيين: ج ١، ص ٩١، ج ٣، ص٣٦٧).

السِّنديّ"[٣١] عن السِّنديّ"[٣٢]، وعن صالحِ صاحب المصلى[٣٣]، وعبدالقدوس[٣٤]، وعن مَشْيخةِ بني هاشمٍ، وعن مواليهم، عَرَفنا[٣٥] بتلكَ البقيةِ كثرةَ ما فات // (٦٥ب) مِنْ ذلك[٣٦]، وبذلك الصّحيحِ أين موضعُ الفَسادِ ممّا صَنَعَهُ الهيثمُ[٣٧] بن عَدي، وتكلّفه هِشامُ بن الكَلْبي"[٣٨].

فأمّا السّفاحُ، فأوّلُ ما نذكرُهُ منه أنْ طهّره اللّهُ -تعالى- بالعفافِ وَليداً، وناشِئاً ورجُلاً، وزيّنه بالبَسْطةِ في العِلْمِ والجِسمِ والهِمّةِ والقَصْدِ والقَنَاعةِ،

(٣١) هو إبراهيم بن السنديّ بن شاهك، من موالي العباسيين، روى الجاحظ عنه كثيراً، وعده في جملة المتكلمين، كان أبوه من المقربين عند الرشيد وكان يلي له بعض الأعمال. (انظر: الجاحظ، الحيوان: ج ١، ص ٥٥، ٥٦، ج ٢، ص ١٤٠، ج ٤، ص ٤٢٣، ج ٥، ص ٣٩٣، ٣٩٦، البيان والتبيين: ج ١، ص ١٤١، رسائل الجاحظ: ج ٣، ص ٦٠، ١٥٥، الجهشياريّ، الوزراء والكتّاب: ص ٢٣٦-٢٣٧).

(٣٢) في الأصل: السُّدي، والتّصحيح من البيان والتبيين، والسُّدي هو إسماعيل بن عبدالرحمن عاش في العصر الأمويّ فليس هو المُراد (انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج ١، ص ٣٠٨)، وأمّا السّندي المراد هنا فهو السندي بن شاهك، من موالي بني هاشم، ولاه الرشيد الجسرين ببغداد، وأوكل إليه الإيقاع بالبرامكة، انقلب على المأمون، وساند إبراهيم بن المهدي في دعوته (انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج ٧، ص ٥١٩، ٥٢٣، ج ٨، ص ٢١٤، ٢٩٦-٢٩٨، ٣٢٤، ٣٦٥، ٤٧٩، ٤٨١، ٥٣٠، ٥٥٧).

(٣٣) في الأصل: صالح بن عبدالمصلى، والتصحيح من البيان والتبيين، وتاريخ الأمم والملوك. وصالح صاحب المصلى خراساني الأصل، اتصل بالعباسيين، وكان مرافقاً للمنصور يتولى له بعض الأعمال في بغداد، وكان سفير الأمين إلى المأمون، ساند إبراهيم بن المهدي ضد المأمون (انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج ٧، ص ٥١١، ٥٢٤، ج ٨، ص ٣٩، ٥٤، ٢٢٢، ٣٧٥، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥، ٥٣٠، ٥٥٧).

(٣٤) لم أتبين من هو.

(٣٥) البيان والتبيين: عرفت.

(٣٦) ساقطة من البيان والتبيين.

(٣٧) في الأصل: الهشم.

(٣٨) إلى هنا ينتهي الاقتباس عن البيان والتبيين.

فَنَشَأَ بخيرِ ما يَنْشَأُ به الرِّجالُ، أديباً عَفِيفاً نَزِيهاً، لم يُرَ له قطُّ صَبْوَةٌ، ولا غَرامٌ بشَهْوةِ الجَاهليّةِ، ولا مُلابسةٌ لظنينٍ، ولم يُرَ مُنْتَجِعاً قطُّ، ولا رَاجِلاً، إلى ذِي سُلْطانٍ، ولا مُخاصِماً إلى قَاضٍ.

ألبَسَهُ اللّهُ رِداءَ الحِلْمِ، ووقارَ السَّكِينةِ، وألقى عليه محبّةَ التّواضعِ، وبرّأه مِن الطّمعِ المُوْقِعِ، وحلاه بحِليةِ الجُودِ والنَّجدةِ، وآتاه الفِقْهَ في الدِّين، والأصَالةَ في الرّأي، وجعلَهُ بَصِيراً زَكِيناً[٣٩]، زِمّيتاً[٤٠]، أديباً. مُفْهِماً إذا قال، فَهْماً إذا استَمَع. يُزينُ صمتَهُ إذا صَمت بيانُهُ / (٦٦ ظ) إذا نَطَق، ويزينُ بيانَهُ إذا نَطَقَ صمتُهُ إذا صَمت من غيرِ عِي[٤١]، يجودُ ويُعطي فلا يَبْلُغُ جُودَهُ أحدٌ، ويَحْلُم فلا يضْطَرُّ صاحبُهُ إلى الحِلْم.

أشدُّ النّاسِ إلجَاماً لنفسه عن هَوىً، وأعظمهُم عليها سُلْطاناً في حَمْلها على ما تَكْره، وكفِّها عمّا تُنازِعُ إليه. وأحذرُ النّاسِ بالطّريقةِ الواسِطةِ العادلةِ، من السُّنةِ بينَ الخَفَاءِ والغُلُو، والجودِ بين البُخْلِ والسَّرفِ، والأناةِ بين التّثبطِ والتّسرعِ. وأصبرُهم لنفسهِ عمّا تَهْوى، وعمّا لا تَهْوى.

وأمّا المنْصُورُ، فهو الذي لو عُدِلَ به جميعُ المُلُوك حَزْماً وعَزْماً وحِلْماً لرجحَ بهم رُجْحانَ الثّقيلِ بالخَفِيفِ، والكَثِيرِ بالقَلِيلِ، والكَبِيرِ بالصّغيرِ.

وأمّا المأمونُ، فكان واحدَ عصرِهِ، وخطيبَ دهرِهِ، أبينَ النّاسِ بَياناً، وأبسطَهم لِساناً، وأجودَهم سَخاءً، وأفخمَهم لَفْظاً، وأكثرَهم أدباً / / (٦٦ب)، وأتمَّهم مَنْقَباً، وأبعدَهم في العُلُومِ مَذْهَباً، وأكثرَهم فيها تَصرُّفاً، وأقلَّهم تكلُّفاً،

---

(٣٩) الزكين: الذكي الفطن صادق الحدس (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة زكن).

(٤٠) في الأصل: زميناً. والزِّميت: الحليم الساكن القليل الكلام (انظر: المصدر نفسه: مادة زمت).

(٤١) العِيّ: الجهل وعدم القدرة على الإبانة (انظر: المصدر نفسه: مادة عيي).

وأنداهم رَاحـةً، وأعظمَـهم عَـفْـواً، وأوصلَـهم رَأياً، وأبعـدَهـم غَـوْراً، ظَاهِراً برُّهُ، مُبايناً قدرُهُ، عَظيماً شأنُهُ، واضحةً أعلامُهُ.

وهذا عند تخوّنِ الزّمانِ، وذهابِ الأعلامِ، وعُمومِ الفَسادِ، وتبدّلِ النّاسِ، ولو لم يكن مِنْ عَجيبِ شأنِهِ وقوةِ سُلْطانِهِ، إلاّ أنّه ما امتُحِن مُنذُ كانت الدُّنيا إمَامٌ مَهديٌّ، ولا غيرُ إمامٍ، بمثلِ ما امتُحِن به من الفُتُوقِ العِظامِ، ومن اضْطِرابِ العَوَامِّ، ولا صادفَ مِنْ فسادِ الزّمانِ، وإكداءِ[٤٢] الصّوابِ، وإلحاحِ الخِطَابِ، مثلَ الذي صادفَ منه. كلُّ ذلك يَرْجع مَنْصوراً مُظفَّراً، ثُمّ لم يُتعقّب له في جميعِ ذلك رأيٌ إلاّ ازدادَ على التّكشفِ حُسْناً، وعلى الأيامِ جِدةً وظُهُوراً.

فلما كان الزّمانُ الذي وافقَ سُلطانَهُ مَخْصُوصاً من الفَسَادِ بغايتِهِ، ومن خطأِ الرّأي بأشْنَعِهِ / (٦٧ ظ)، وكان اللّهُ – بمَنِّهِ وفَضْلِه – يُريدُ الاسْتِنْقَاذَ لهم على يدِهِ، وكَشْفَ حَيْرتهِم بإرشادِهِ، وتَغَمُّدَ جَرائمهِم بصَفْحِهِ، قدّرَ لطبائعِهم المخصُوصَ بغايةِ الاسْتِصْلاحِ لهم، كانوا مَخْصُوصينَ بغايةِ الاسْتِنقَاذِ لأنفسِهم، فَهيأ لهم المُفضّلَ بالكَمَالِ في الحِلْم، والسَّعَةِ في العِلْم، المعروفَ بإيضاحِ المُشْكِل، وتَسْهيلِ المُتوعِّر، قَصَدَ إلى الدَّاءِ، وقد أعضلَ بأهلِهِ، وصَبَرَ على مُعالجةِ العَسِيرِ بفضْلِ عَزْمِهِ، فلما ازْدَادوا على العِلاجِ نَبْوةً ازْدَادَ عند نَبْوتهم رَأفةً !!

فمِنْ ذلك، أنّه بَلَغَ مِنْ تأنّيهِ ورفقِهِ وعلمِهِ وحُسْنِ تخلُّصِهِ أنْ ألّفَ بينَ

---

(٤٢) إكداء: قلة (انظر: ابن منظور، اللسان، مادة كدا).

الثَّلجِ والنّارِ، وجَمَعَ بينَ الضَّبِّ[٤٣] والنّونِ[٤٤]، لأنّ الذي ألّف بين المُعتزليّ والنّابتيّ[٤٥]، وجَمَعَ بينَ الأزرقيّ والرّافضيّ، قد ألّف بينَ الثّلجِ والنّارِ، وبينَ الضّبِّ والنّونِ.

وقد رأينا مِنْ حُذّاقِ الأطباءِ يُداوون الأبدانَ، ولم يَزَل طَبيباً / / (٦٧ب) يُداوي القُلوبَ، ويُعالجُ الأهواءَ، ويُبرئُ من سُقْمِ سُوءِ الاختيار.

ولولا أنّ العيانَ اضْطرَ العُقولَ إلى بَديعِ رأيه، وعَظيمِ حِلْمِهِ، وعَجيبِ عَفْوِهِ، لم نرَ أنّ طَبْعَ البَشرِ يحتملُ مثلَ صَفْحِهِ، ولا يتّسعُ لمثلِ تجاوزِهِ، ولا يبلغُ كُنهَ رأيِهِ، فبذَّ الحُكماءَ حِلْمُهُ، وغَضّ من الأجوادِ جودُهُ.

وقد كان المَثَلُ جرى بغيرِهِ في غيرِ عُنْصرِهِ، فَتَطلّبَتهُ الأمثالُ، وتَنَازعتْ إليه الأقوالُ، وحنّ إليه قلبُ الزّاهدِ، وتَاقتْ إليه نَفْسُ الرّاغبِ، فهو جِماعُ الخيرِ ومِفْتاحُهُ، ورِقَاعُ[٤٦] الشرِّ ومِغْلاقُهُ، فهل رأيتم كعَقْدِ أمَانِهِ، وثَبَاتِ عَهدِهِ، ودَوامِ وفائِهِ، على بُعدِ مَدَاه وتَقَادمِ عَصْرِهِ، وثِقَلِ مؤنتِهِ، والصّبرِ على مَكْروهِهِ؟!

وهل[٤٧] رأيتم أفْعالاً أشبهَ بأخْلاقٍ، وأخْلاقاً أشبهَ بأعْراقٍ، مِنْ أفْعالِهِ بأخْلاقِهِ، وأخْلاقِهِ بأعْراقِهِ[٤٨]؟!

(٤٣) الضّبّ: دويبة من الحشرات يشبه الوَرَل، يأكل العشب، تصيده العرب وتأكله (انظر: المصدر نفسه، مادة ضبب).

(٤٤) النون: الحوت (انظر: المصدر نفسه، مادة نون).

(٤٥) النابتة وصف يطلقه الجاحظ على أهل السُّنة أو على الحنابلة منهم (انظر رسالته الموسومة بالنابتة في رسائل الجاحظ: ج ٢، ص ٣-٢٣).

(٤٦) لعلها: رقاع.

(٤٧) من هنا يبدأ الاقتباس من رسالة نفي التشبيه، رسائل الجاحظ، ج ١، ص ٣٠٨.

(٤٨) إلى هنا ينتهي الاقتباس من رسالة نفي التشبيه.

وهل سمعتُم بأعدلَ منه في حُكمِه، ولا أقصدَ في فِعْلِه، ولا أسدَّ في قولِه على غناء طَرْفِه، وذكاءِ عَيْنِه، ودَوامِ طَريقتِه / (٦٨ط)، وحِكَايةِ آخرِ أمرِه لأولِه؟! وهل وَضَعَ أصْلاً لم يُفرّعه، ورُكناً لم يُشيّده، وأمراً فلم يَسْتتمه[٤٩]؟!

وأمّا المُعتصمُ، فلو شئنا أنْ نُطيلَ الذّكرَ، ونُطنبَ في الوصفِ لوجدنا إلى ذلك أنْهجَ السُّبلِ، وأسْهلَ الطُّرقِ، وأتمَّ الأسبابِ، وأكْبرَ الأعوانِ[٥٠]، وأظْهرَ الحُجَجِ، ولَذَكرنا المعروفَ غيرَ المجهولِ، والظّاهرَ دونَ الباطنِ.

أمّا جمالُهُ وبَهَاؤه، وقَوامُهُ وتَمامُهُ، ومَركبُهُ ونِصَابُهُ[٥١]، فقد كَشَفَهُ لكم العيَان، وأغنتكم المُشاهدةُ عن الامتِحان.

وأمّا عِشْرتُهُ وإنْصافُهُ، وقُربُهُ وحِلْمُهُ، وصَبرُهُ وقِلّةُ تلونِهِ، وتلقّي الحالاتِ به، وثَباتُ عَقْدِهِ[٥٢]، واستقامةُ طريقتِهِ، وتَشَابهُ أفعالِهِ، وتَنَاسبُ أخلاقِهِ، وكَثْرةُ اعتقادِهِ، وكَثْرةُ تَغافلِهِ، والعِنايةُ بأمرِ العِشْرةِ، والتّفقدُ لحالِ الصّغيرِ والكَبيرِ، فقد بَاشَرتمُوه بأبصارِكم، وجاءكُم به مِنْ تَتَابعِ الأخبارِ وقُربِ الأسَانِيدِ، ما يُثْلِجُ صدُورَكم، ويَنْفِي الشّبَهَ عن قُلُوبِكم.

وأمّا أيامُهُ الغُرُّ المشهورة وفُتوحُهُ // (٦٨ب) العِظامُ المَذْكورةُ، التي لو أنّ واحداً منها[٥٣] تهيأ لَمِلكٍ مُسْتَضْعَفٍ لصارَ به مَهِيباً، ولو أتى الرّكنَ[٥٤]

---

(٤٩) في الأصل: يستمنه.

(٥٠) في الأصل: وأكبر السّبل الأعوان.

(٥١) النّصاب: الاعتدال في السير (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة نصب).

(٥٢) العقد: العهد (انظر: المصدر نفسه: مادة عقد).

(٥٣) في الأصل: منا.

(٥٤) الرّكن: الضعيف الساكن (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة ركن).

لصيّره قَوياً، ولمسوء[٥٥] السُّلطان لجعله مُحَبَّباً، ولَمَحْدُودٍ[٥٦] لجعله مُظفراً. فليست[٥٧] الشّمسُ بأنْورَ من بُرهانِهِ، ولا القمرُ بأضوأَ مِنْ دلائلِهِ !!

وهي الفُتُوحُ التي تُسكتُ الأزْرَقيَّ، وتُخرسُ الرّافضيَّ، وتَخْذلُ السُّنيَّ الجماعيَّ، وتَعُمُّ الأمةَ بالسُّرورِ، والرّعيةَ بالمحبةِ والحُبورِ، وهي الفُتُوحُ التي خصّت وعمّت، واسْتَفاضتْ وتَشعّبتْ، وهي التي تَصْغُرُ معها كِبارُ الفُتُوحِ، وتَدقُّ مع بهائِها جِسامُ النِّعم، وما لها عيبٌ إلاّ أنّها تَضَعُ مِنْ كلِّ رَفيعٍ، وتُصغِرُ مِنْ كلِّ جَسيمٍ !! وما ظنُّكَ بأيامٍ أطلعت ألسنةَ المُنجِّمين، وحوّلت المُسْتعجمينَ في طِباعِ النّاطِقين، واستوى في معْرفتها العالِمُ والجاهلُ، والأقصى والأدنى !!

وأمّا حزمُهُ وعزمُهُ، فقد عَرفتُموها بآثارِ التّدبيرِ ومخَارجِ الأمور. وأمّا الأيْدُ[٥٨] والبَطْشُ وشَجَاعةُ / (٦٩ظ) القلبِ، والبَصَرُ بالحُروب، فقد أرْبَى فيه على كلِّ بطلٍ، وغَمَرَ[٥٩] كلَّ مُدَبّرٍ. وهذا شيءٌ لم يَقْتبسهُ من العُلماء، ولم يَخْتلفْ فيه إلى الرُّواة، وقد شاهَدتُموه كما علِمنا.

وأمّا العِلمُ بالخراجِ وعَمَارةِ البلادِ، وما يُحملُ من الوظائفِ وأبوابِ المالِ ومَصْلحةِ الثّغورِ، فقد عَلِمَ ذلك وزَرَاؤه وكُتابُهُ والمُطِيفُون[٦٠] به، وكلُّ من اتّصل بالسُّلطان وعَرَفَ أُمورَ الخُلفاء.

وأمّا بَركتُهُ ويمنُهُ، فقد عَرفتُموه لما رأيتم من النُّجْح، وأبصرتم من

---

(٥٥) المسوء: الذي ذُكر بسوء (انظر: المصدر نفسه: مادة سوأ).

(٥٦) المحدود: المحروم الذي لا يوافقه الصواب (انظر: المصدر نفسه: مادة حدد).

(٥٧) في الأصل: فليس.

(٥٨) الأيد: القوة (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة أيد).

(٥٩) في الأصل: عمر.

(٦٠) المطيفون: المحيطون (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة طوف).

غرائبِ الظَّفَر. وأمّا اجتهادُهُ في أمرِ بَيْضَتِكم[٦١] وضبطِ أطرافِكم[٦٢] وتَقْويةِ سُلطانِكم، فقد رأيتُموه كيف يَبْذلُ ما لا يُبْذلُ مثلُهُ من الأموالِ، وسَمَحتْ به نفسُهُ بما لا تجودُ[٦٣] به نُفُوسُ الأجوادِ، وإنّها لَهائِلةٌ في السّمعِ، فكيف في العملِ؟!

ولولا أنّا عَاينّا لاحْتَجنا مِنْ تَتَابعِ الأخبارِ وتَرادفِ الدّلائلِ إلى ما لم يَحْتجِ إليه في جَليلِ الاسمِ ولا صغيرِهِ، ولا إلى العَتَادِ والعُدّةِ، وما أعدَّ لعدوكم من رِباطِ الخَيلِ // (٦٩ب) ونُجُبِ الرِّجال، فقد رأيتم خُيولَهُ وسِلاحَهُ، على أنّه - إنْ كان أعدَّ ذلك - فإنّ أحبَّ الأُمورِ إليه أنْ تكونَ عُدتُهُ وافرةً، وقُوتُهُ ناميةً، وقَاطعةً لأسبابِ الطّمعِ، ومَانعةً مِنْ خَواطرِ الشّيطانِ. يَرَى ذلك أدْعَى إلى السَّلامةِ، وأهنأَ للنَّعْمَة، وأجمعَ لِشَمْلِ الأُمة.

ألا تَراه كيف يَتوقّى الدِّماء؟! وكيف يَسْتصلحُ بالرَّغبةِ دونَ الرَّهبة؟! ألا تَرَاه لا يُعاقبُ حتى يكونَ تركُ العِقابِ فَساداً، وتَعوّدُ التّغافلِ عَجْزاً؟!

وهل عَلمتم أحداً نَصبَ[٦٤] له في خَاصّةِ نفسِهِ حرباً وجّه نحوه جُنداً؟! وهل نَصَبَ له إلاّ مَنْ نَصبَ للإسلامِ؟! وهل عاداه إلاّ مَنْ عَادى القُرآن؟! وهل رأيتم الحقَّ والقولَ بالحقِّ في زمانٍ قطُّ أقوى، ولا أهلَ الاخْتلافِ في دَهْرٍ قطُّ أسْكَنَ، ولا أهلَ السُّنةِ والجَمَاعةِ فيه أكثرَ ولا أرفعَ، ولا العامةَ فيه أهدأ، ولا الثُّغورَ فيه أحصنَ، مِنْه في زَمانِهِ، وفي دَوْلتِهِ وفي أيامِهِ؟!

---

(٦١) البيضة: أصل القوم ومجتمعهم وموضع سُلطانهم (انظر: المصدر نفسه: مادة بيض).

(٦٢) الأطراف: النواحي (انظر: المصدر نفسه: مادة طرف).

(٦٣) في الأصل: يجود.

(٦٤) نصب: أقام ورفع (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة نصب).

ومِنْ شأنِ العَوَامّ أنْ تَمَلَّ طُولَ الولايةِ مع العَدْلِ، وأنْ تسأمَ السُّلطانَ مع // (٧٠ط) حُسنِ النّظر، وإنْ كان ذلك شَأنهم، وعليه طِباعُهم، فلكلِّ حالٍ من الأحوالِ من الملالةِ نَصيبٌ، ولكلِّ شَهرٍ من السآمةِ[٦٥] حظٌّ، وعلى حِسابِ ذلك يكونُ اليومُ والسّاعةُ واللحظَةُ والطَّرفَةُ.

ووجدنا المُعتصمَ باللّه على خِلافِ ذلك وضدّه، ووجدنَاهم في كلِّ حالٍ فيه أرغبَ، وعليه أحْدَبَ، وإليه أميلَ، وبه أكْلَفَ، وحَسْبُنا في ذلك[٦٦] دَلِيلاً، وكفاكَ به شَاهِداً!!

ولقد كانوا وغايةُ مُناهم أن يُنفقَ في مصالحهم من بيتِ المالِ عامَّتهم، وأن يردَّ عليهم ما أُخذ من حَواشِي أموالِهم[٦٧]، فلم يرضَ لهم المُعتصمُ باللّه مبلغَ مُناهم ومُنتهى آمالِهم، حتى وفّى بيتَ مالِهم بمالِهِ، وأنفقَ على عَوامّهِم مِنْ خاصّةِ مُلْكِ يده، ولم يمتحن إلاّ صاحبَ ظُنّة، ولم يُوْقِع إلّا بعد زوالِ الشُّبهة، يُوفي الأشرافَ حُقوقَ أقدارِهم، ويزيدُهم فوق استحقاقِهم، ويؤلفُ بين قُلُوبِ المُخْتلفِين، ويزيدُ في بَصيرةِ المُتفقِين // (٧٠ب). وهذا كلّه عيانٌ يُغني عن الإسْناد، وظاهرٌ يُغني عن السّؤال.

وقد كانت للخُلفاء فُتُوحٌ، ولكن لم يتّفق لأحدٍ مثلُ ما اتّفق للمأمونِ وعبدالمَلِك بن مَرْوان، ومُحاربتُهما إنّما كانت لمن قَصَدَ مُلكَهُما، فقد بَلَغا – لعَمْري – في ذلك مَبْلغاً لم يبلغهُ أحدٌ من مُلوكِ الإسلام. وللمعتصمِ باللّه ستةُ

(٦٥) في الأصل: الشأمة.

(٦٦) في الأصل: لك.

(٦٧) حواشي الأموال: غير الكريم من الأموال. وفي حديث الزكاة «خُذْ من حواشي أموالهم» (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة حشا).

فُتُوحٍ عِظامٍ جليلةٍ، لم يُحارب في واحدٍ مِنْهنّ إلاّ مَنْ قَصَدَ الإسلامَ والمسلمين دون مُلكه خاصّةً.

فمِنْ ذلك، مازيار[٦٨]، مَلِك طَبَرِستان[٦٩]، بعد أن تغلّب، وقتل، وتهضّم[٧٠]، وسَبَى، وتمكّن مِنْ تلك القِلاعِ والجبالِ والمضائقِ المنيعةِ، والسُّبلِ الوَعْرةِ، حتى ظَفِرَ به وقَتَلهُ وصَلَبهُ[٧١].

ومِنْ ذلك، بَابك[٧٢]، فإنّا لا نعلمُ خَارجيّاً في الأرضِ كان أشدَّ عداوةً للإسلامِ وأهلِه، والقرآنِ ومَنْ قرأ منه، بعد أن اتّسعت له العَساكرُ، وقَتَلَ القُوّادَ، وأخربَ البلادَ، وبعدما أودع القُلوبَ من الهَيبةِ / (٧١ظ) والمخافةِ[٧٣]، وتجرّد له حتى أخذه أسيراً، فقتلَهُ وصلبَهُ حيثُ مازيار[٧٤].

---

(٦٨) هو مازيار بن قارن، من ملوك الديلم، تغلب على طبرستان والجبال، وثار على العباسيين وحاربهم، أسره عبدالله بن طاهر ووجه به إلى بغداد فقُتل هناك. (انظر، الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج٨، ص٥٥٦، ٦١٤، ج٩، ص٨٠-٨٩، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩).

(٦٩) بلاد واسعة مما يلي بحر قزوين، من مدنها جرجان واستراباذ وآمل، كانت تتبع بلاد فارس، افتتحت في عهد عثمان بن عفان. (انظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، مادة طبرستان).

(٧٠) تهضم: ظلم وقهر (انظر: اللسان: مادة هضم).

(٧١) انظر: الدينوريّ، الأخبار الطوال: ص ٤٠٢، الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص ١٠٣-١٠٤.

(٧٢) رئيس الخرميّة، دعا إلى المزدكية، وشن حرباً عنيفة ضد الدولة العباسيّة، قبض عليه الأفشين قائد جيش المعتصم، وصُلب في بغداد سنة ٢٣٤هـ/ ٨٣٧م (انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص ١١-١٧، ٥٢-٥٧، النديم، الفهرست: ص٤٠٦ - ٤٠٧).

(٧٣) انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص ١١-١٧، ٥٢-٥٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٦، ص٤٤٧- ٤٥١، ٤٥٦-٤٥٩، ٤٦١-٤٧٥، ٤٧٧-٤٧٨.

(٧٤) انظر: الدينوريّ، الأخبار الطوال: ص٤٠٢-٤٠٥، الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص٥٢-٥٤.

ومِنْ ذلك، فَتْحُ عمّوريّة[٧٥]، وهي الثّانية مِنْ قُسْطَنْطِينيّة[٧٦]، ثم هزيمةُ الطّاغيةِ[٧٧]، ثم أسْرُ ياطس[٧٨]، صاحبِ الضّواحي، بعد أنْ كان لا يَعُد الغُزاةَ والمطوعيّةَ[٧٩] شيئاً، فأسَرَهُ وصلَبهُ إلى جنبِ بابك ومَازيار.

ومِنْ ذلك، استباحةُ الزُّط[٨٠] حتى اجتثّ أصلَهُم، وأباد خَضْرَاءهُم، بعد أن منعوا بَغْدادَ المِيْرةَ[٨١]، وقتلوا القُوّاد، وأسَروا، وغَلبوا على البلادِ، واتّسقَ لهم من قَتْلِ الأجنادِ وقُوّادهم وأسرِهم ما لم يتّسق لأحدٍ، بعدَ أنْ رامهم خليفةٌ بعد خليفةٍ.

---

(٧٥) بلدة حصينة في بلاد الروم (تركية)، كانت أشرف عند الروم من القسطنطينيّة، غزاها المعتصم سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م. (انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص٥٧، ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، مادة عموريّة).

(٧٦) دار ملك الروم ومستقر دولتهم، تقع على خليج البحر (الأسود)، عمرها ملك الروم قسطنطين فنسبت إليه، وهي تعرف باصطنبول، وسماها العثمانيون الأستانة. (انظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، مادة قسطنطينية).

(٧٧) هو توفيل بن ميخائيل، ملك الروم، أغار على تخوم المسلمين فقتل وسبى وخرب زبطرة وملطية، فرد عليه المعتصم بحملة عسكرية واسعة فتح فيها عمورية. (انظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص٥٥-٥٧).

(٧٨) في الأصل: باطين، وهو تحريف. وياطس الروميّ عامل ملك الروم على عموريّة، حاصره المعتصم حتى اضطره إلى الاستسلام واقتاده إلى سامراء وصلبه هناك سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م. (انظر: المصدر نفسه: ج٩، ص٦٤، ٦٧، ٦٨، ١٠٢).

(٧٩) المطوعية: الذين يتطوعون بالجهاد (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة طوع).

(٨٠) ثار الزط وقطعوا طريق البصرة سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٣م، وسلبوا الغلات، وأخافوا الناس، فوجه إليهم المعتصم عجيف بن عنبسة، ولم يزل هذا في حربهم حتى ظفر برئيسهم محمد بن عثمان، وقتل خلقاً كثيراً منهم، وساق بقيتهم إلى الثغور، فأغارت عليهم الروم، وأعملوا السيف فيهم. (انظر، الطبريّ: تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص٨-١٠).

(٨١) الميرة: الطعام وما يقتاته الإنسان (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة مير).

ثم كان مِنْ أمرِ جعفرِ الكُرديّ[٨٢] وتغلّبه، وإخافتِه السُّبل، وقطعِ سُبلِ المُسلمين، وجرأتِه على السُّلطانِ، ومُحاربتِه الأجنادَ حتى قتلَهُ اللّهُ على يَدِه.[٨٣]

ثُم الّذي كان منه في ضائقةِ البَصْرة، وشقّ الهِند، ومِنْ إبطالِ المُقاتِلةِ، ومِنْ قتلِ الغُزاةِ، وإخرابِ السّواحلِ على يدي عمرو بن الفَضْل الشّيرازيّ[٨٤] // (٧١ب)، أحد بني رَبيعة بن حَنْظلة. وهذه كلُّها إسلاميّةٌ جَماعيّةٌ، لا تَنَازعَ فيها، ولا اخْتِلاف.

وأمّا الواثقُ باللّه، فهو الذي جَمَعَ بين المهابةِ والمحبّةِ، وإيثارِ الحقّ، وحُسنِ النِّية، والشَّغَفِ بالعدلِ، والقولِ به، وقمعِ الظّالمِ، وقلةِ الرُّخصة، وإعمالِ اليَقْظةِ، والمسألةِ في كلّ حالٍ، مع إعطاءِ كلّ خَصْلةٍ من خِصال الخيرِ نَصيبَها من العملِ، وكلّ خَصْلةٍ من خِصَالِ الشرّ حقَّها من الاجتنابِ، حتى تكاملتْ فيه خِلالُ الفَضْلِ، وتَنَامت عنده خِصَالُ المجدِ، حتى لا تجد خَصْلةً تَرْجَحُ على أُختها، ولا ساعةً تَنْقصُ عن مِثْلِها.

ومِنْ صفاتِه: أصالةُ الرّأي، وصحةُ العقلِ، والحسُّ[٨٥] اللطيف، والفهمُ العجيبِ، ثُم الجودُ بكلّ عِلْقٍ[٨٦]، ولزومُ ذلك في كلّ حالٍ، ثُم طِيبُ العِشْرةِ،

---

(٨٢) ثار جعفر بن مهرجش الكرديّ ضد المعتصم في جبال الموصل سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١م، فوجه إليه ايتاخ، فوثب بجعفر بعض أصحابه فقتله. (انظر: الدينوريّ، الأخبار الطوال: ص٤٠٢، الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص١١٨).

(٨٣) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٩، ص١١٨.

(٨٤) لم أجد له ذكراً فيما رجعت إليه من المصادر.

(٨٥) لعلها: الحسن.

(٨٦) العِلق: النفيس (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة علق).

وحُسنُ المَلَكةِ، وتعهّدُ المولى، وتَفقّدُ حالِ العَشيرةِ، وإيثارُ[٨٧] العلمِ على كلِّ لَذةٍ، والبَيانِ على كلِّ صِناعةٍ، مع المعرفةِ بما جَمَعَ شَمْلَ / (٧٢ط) العوامّ، وكيف قسمةُ النّعيمِ بين الخَواصِّ، وما يليقُ بكلِّ مَرْتبةٍ، ويَصلُحُ لكلِّ زمان، مع شدّةِ التّعقبِ، وجَودةِ التّصفحِ.

ومع ذلك، حُسنُ الاختيار، وصوابُ الإيرادِ والإصْدار، إذا اعتزم لم يَعْجز عن الرُّجُوع، ولم يتملّك عليه اللجاجُ، ولم يرَ اليدَ أعجزَ إلاّ عن صوابٍ، ولا إنفاذ[٨٨] العزمِ لجَاجاً إلاّ في الخَطأ، ولا يرى الصّوابَ إلاّ ما وافقَ الحقَّ. وأحبُّ الحُقُوقِ إليه ما جانب الهوى، وأزينُها في عَيْنِهِ ما زاد في المُروءةِ، وآثرُها عنده أمرُّها عَاجِلةً، وأحلاها آجِلَةً، وأبغضُ الباطلِ إليه ما أشْبَهَ السُّخفَ وناسبَ الفَواحشَ.

يحوطُ الصّوابَ حياطةَ مَنْ قد عَرَفَ فَضْلَهُ، ويَنْصُبُ للخطأ نَصْبَ مَنْ قد عَرَفَ ضَرَرَهُ. وقد ذلّل السّبيلَ إليه حتى سَهُلت، وزادَ في أسبابِهِ حتى اتّصلت، وتعرّف ما فيه حتى استَقْصاه، وعَجَمه[٨٩] حتى أمْضَاه[٩٠] وكان في طلبه، وجَزَم[٩١] في التّقدم فيه، فبدأ / / (٧٢ب) به قبل حُدُوثِ الأشغالِ، وقبل أن تأخذَ منه الأيامُ، فنظر بعَقلٍ سَليمٍ من الأسقامِ، وبمعزلٍ من الأهواءِ، وبذهنٍ حديدٍ، وقوةٍ وافرةٍ، وهيئةٍ جامعةٍ، وبغربٍ غيرِ مَفْلولٍ، وعَزْمٍ غيرِ مَدْخولٍ، أيامَ اجتماعِ قُوته، وشَبابِ آرائه، وحِدةِ طرفِهِ، وثُقُوبِ حِسِّه، ودِقَّةِ مَدْخلِهِ،

(٨٧) في الأصل: ايسار.

(٨٨) في الأصل: إنفاد.

(٨٩) عجمه: خبره (انظر: ابن منظور، اللسان: مادة عجم).

(٩٠) في الأصل: أقضاه.

(٩١) في الأصل: حرم.

وانفتاحِ الأبوابِ لقَرْعِهِ، فطلبَهُ طلبَ مَنْ يَشْتهيه، ويُبصرُ جوهَرَهُ، ويَعْرِفُ عاقبتَهُ وفضيلتَهُ، والتمسَهُ بطبيعةٍ مُناسبةٍ، وغريزةٍ مُشاكِلةٍ، والأُمورُ لاحقةٌ بعناصرِها، تَابِعةٌ لجواهرِها.

وصادَفَ زَمَاناً جمَّ العجائبِ، كثيرَ الغَرَائبِ، فَعَرفَ في أيامٍ يسيرةٍ، ما لم تعرفْه المُلوكُ في السِّنين الكثيرةِ، إلاّ ما خصَّ اللّهُ به آباءَهُ المُنْتخبين[92]، ومَنَحهُ أجدادَهُ المُكرّمين، صلواتُ اللّهِ عليهم أجْمَعين.

---

(٩٢) لعلها: المُنتجبين.

الهوامش

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ٣، ص ٢٨٣ - ٣٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٩ - ٣٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣ - ١٦.

(٥) الدُروبيّ، آثار الجاحظ (دراسة توثيقيّة)، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٦) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ٢، ص ٣ - ٢٣.

(٧) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ١٠٣.

(٨) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٩. وانظر: ياقوت الحمويّ، مُعجم الأدباء، ج ١٦، ص ١٠٠.

(٩) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ٣، ص ٣٠١ - ٣٥١.

(١٠) ياقوت الحمويّ، معجم الأُدباء، ج ١٦، ص ١٠٠.

(١١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٥٢ - ٤٩٠.

(١٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩٨ - ٩٩.

(١٣) نسخة خطيّة محفوظة في برلين تحت رقم (٥٠٣٢).

(١٤) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٧ ظ - ٦٨ ظ.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٧١ ظ.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٧١ ظ - ٧١ ب.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٧١ ب.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ - ٦٦ ظ.

(١٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢٠) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٨ ظ.

(٢١) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ١، ص ٣٠٨.

(٢٢) انظر: الجاحظ، رسالة جديدة للجاحظ في مدح آل دُؤاد، تحقيق: سمير الدروبيّ ومحمد الدروبيّ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، جامعة مؤتة، الكرك، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ص٢٠٣ - ٢٠٤، ورسالة جديدة للجاحظ في الهجاء، تحقيق: محمّد الدروبيّ، مجلة المنارة، المجلد الرابع، العدد الثالث، جامعة آل البيت، المفرق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ص ٦٢، ٧٤ - ٧٩.

(٢٣) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٥ ظ.

(٢٤) انظر: الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٧١ - ٧٢.

(٢٥) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٧ ظ.

(٢٦) انظر: ابن عبدربّه، العقد الفريد، ج ٢، ص ٣٤٢ - ٣٤٥.

(٢٧) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٧ ظ، ٦٨ ظ، ٧٠ ظ - ٧٠ ب.

(٢٨) انظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ١، ص ٢٨٦ - ٢٨٨، ج ٢، ص ١٢، ١٤، ج ٣، ص ٥ - ١٦، ج ٤، ص ٢٥٠.

(٢٩) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧٠ ظ - ٧٠ ب.

(٣٠) انظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ١، ص ٢٨٣ - ٢٨٥، ج ٣، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٣١) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٧.

(٣٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧.

(٣٣) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج ١، ص ١.

(٣٤) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٥ ظ.

(٣٥) المصدر نفسه: ٦٥ ظ.

(٣٦) المصدر نفسه: ٦٥ ظ.

(٣٧) النديم، الفهرست، ص ٢١١.

(٣٨) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧١ ب.

(٣٩) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ٨ - ٩.

(٤٠) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧١ ب.

(٤١) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ٥٧ - ٧١.

(٤٢) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧١ ظ - ٧١ ب.

(٤٣) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ٥٢ - ٥٥.

(٤٤) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧١ ظ.

(٤٥) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤٦) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧١ ب.

(٤٧) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ١١٨.

(٤٨) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧٣ ظ.

(٤٩) انظر حول آراء الجاحظ السياسيّة: الأفغانيّ، الجاحظ والسياسة، مجلة الثقافة، العدد الخامس عشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٦٤م، ص ١٩ - ٢١. خالد، مع الجاحظ السياسيّ، مجلة الفكر،

العدد السادس، تونس، ١٣٨٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٥ – ٦٠. شقرون، آراء الجاحظ في السياسة والاجتماع، حوليات الجامعة التونسيّة، العدد الثالث والثلاثون، تونس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٢٠٧ – ٢٣٧. خفاجيّ، أبو عثمان الجاحظ، ص ١٢١ – ١٢٥.

(٥٠) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٥ ظ – ٦٥ ب.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ – ٦٥ ب.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ – ٦٥ ب.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٧١ ظ.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٦٥ ب – ٦٦ ظ.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٦٥ ب – ٦٦ ظ.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٦٥ ب.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ – ٦٦ ب.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب – ٦٨ ب.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب – ٧٢ ظ.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ – ٧٣ ظ.

(٦٧) ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٧٤.

(٦٨) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٨ ب – ٧٢ ظ.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب – ٦٨ ب.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ – ٧٣ ظ.

(٧١) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ – ٦٦ ب.

(٧٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٧٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ – ٦٦ ب.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب – ٧٣ ظ.

(٧٥) انظر على سبيل المثال: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ٨/ ٢٧٥.

(٧٦) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٦ ظ.

(٧٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ، ٦٦ ب.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٩١) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٩٥) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ - ٦٦ ب.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠١) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠٥) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٦ ظ.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١١٠) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١١١) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(١١٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ٦٧ ظ.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٦٧ ظ.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١١٩) المصدر نفسه، ص ٦٧ ظ – ٦٧ ب.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص ٦٧ ظ.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(١٣٢) المصدر نفسه، ص ٦٧ ظ – ٦٧ ب.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب – ٦٨ ظ.

(١٣٤) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٨ ب.

(١٣٥) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٣٦) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٤٤) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.

(١٤٥) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.

(١٤٦) المصدر نفسه، ص ص ٦٩ ظ.

(١٤٧) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ - ٦٩ ب.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب.

(١٤٩) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب.

(١٥٠) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب.

(١٥١) المصدر نفسه، ض ٦٨ ب.

(١٥٢) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(١٥٣) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص ٧٠ ب.

(١٥٥) المصدر نفسه، ص ٧١ ظ - ٧٢ ظ.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.

(١٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.

(١٥٩) المصدر نفسه، ص ٧١ ظ.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٧١ ظ - ٧١ ب.

(١٦١) المصدر نفسه، ص ٧١ ب.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ٧١ ب.

(١٦٣) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧١ ب.

(١٦٤) المصدر نفسه، ص ٧١ ب – ٧٢ ظ.

(١٦٥) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب – ٧٠ ظ.

(١٦٦) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٦٧) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٦٨) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٦٩) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧٠) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧١) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧٢) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧٣) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧٤) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.

(١٧٥) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.

(١٧٦) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧٧) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧٨) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٧٩) المصدر نفسه، ص ٧٣ ظ.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص ٧٣ ظ.

(١٨١) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٨٢) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٨٣) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.

(١٨٤) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(١٨٦) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ – ٧٢ ب.

(١٨٧) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.

(١٨٨) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.

(١٨٩) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(١٩٠) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(١٩١) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(١٩٢) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٩ب - ٧٠ ظ.

(١٩٣) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(١٩٤) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٥ ظ.

(١٩٥) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(١٩٦) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(١٩٧) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(١٩٨) المصدر نفسه، ص ٦٥ ب.

(١٩٩) المصدر نفسه، ص ٦٥ ب.

(٢٠٠) المصدر نفسه، ص ٦٥ ب.

(٢٠١) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٢٠٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٢٠٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ - ٦٦ ب.

(٢٠٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢٠٦) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢٠٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢٠٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢٠٩) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢١٠) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(٢١١) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(٢١٢) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(٢١٣) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(٢١٤) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(٢١٥) المصدر نفسه، ص ٦٧ ب.

(٢١٦) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ.

(٢١٧) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ.

(٢١٨) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢١٩) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢٢٠) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢٢١) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٨ ب.
(٢٢٢) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.
(٢٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.
(٢٢٤) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.
(٢٢٥) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.
(٢٢٦) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.
(٢٢٧) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.
(٢٢٨) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.
(٢٢٩) المصدر نفسه، ص ٧٠ ظ.
(٢٣٠) المصدر نفسه، ص ٧٠ ب.
(٢٣١) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.
(٢٣٢) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.
(٢٣٣) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.
(٢٣٤) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.
(٢٣٥) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.
(٢٣٦) المصدر نفسه، ص ٧٣ ظ.
(٢٣٧) المصدر نفسه، ص ٧٣ ظ.
(٢٣٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.
(٢٣٩) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.
(٢٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.
(٢٤١) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.
(٢٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.
(٢٤٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.
(٢٤٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.
(٢٤٥) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.
(٢٤٦) المصدر نفسه، ص ٧٠ ظ.
(٢٤٧) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.
(٢٤٨) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ.
(٢٤٩) المصدر نفسه، ص ٧١ ب.

(٢٥٠) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٧٣ ظ.

(٢٥١) المصدر نفسه، ص ٧٢ ب.

(٢٥٢) انظر: الجاحظ، رسالة جديدة للجاحظ في الهجاء (تحقيق محمّد الدروبيّ)، ص ٨١ - ٨٢، ورسالة جديدة للجاحظ في مدح آل دُؤاد، (تحقيق سمير الدروبيّ ومحمّد الدروبيّ): ص ٢١٨ - ٢٢٠.

(٢٥٣) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٨ ظ.

(٢٥٤) المصدر نفسه، ص ٧٠ ظ.

(٢٥٥) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب - ٦٧ ظ.

(٢٥٦) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢٥٧) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ.

(٢٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ - ٦٦ ب.

(٢٥٩) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ.

(٢٦٠) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٢٦١) المصدر نفسه، ص ٧٠ ظ.

(٢٦٢) المصدر نفسه، ص ٦٨ ظ - ٦٨ ب.

(٢٦٣) المصدر نفسه، ص ٧٠ ظ.

(٢٦٤) المصدر نفسه، ص ٦٥ ظ - ٦٦ ب.

(٢٦٥) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب.

(٢٦٦) المصدر نفسه، ص ٦٦ ظ.

(٢٦٧) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢٦٨) المصدر نفسه، ص ٦٦ ب.

(٢٦٩) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢٧٠) المصدر نفسه، ص ٧٢ ظ.

(٢٧١) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢٧٢) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢٧٣) المصدر نفسه، ص ٦٨ ب.

(٢٧٤) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ.

(٢٧٥) المصدر نفسه، ص ٦٩ ظ - ٦٩ ب.

(٢٧٦) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب.

(٢٧٧) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٩ ب.

(٢٧٨) المصدر نفسه، ص ٦٩ ب.

(٢٧٩) انظر: الجاحظ، رسالة جديدة للجاحظ في الهجاء (تحقيق محمّد الدروبيّ)، ص ٨٢ – ٨٣.

(٢٨٠) الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ (تحقيق كراوس والحاجريّ)، مقدمة التحقيق.

(٢٨١) الجاحظ، نفي التشبيه، تحقيق: شارل بلا، مجلة المشرق، المجلد السابع والأربعون، بيروت، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م. ص ٢٨١ – ٢٨٢.

(٢٨٢) الدُّروبيّ، آثار الجاحظ، ص ٤٠ – ٤١، ٩٦ – ٩٧، ١١٥، ١٧١ – ١٧٢.

(٢٨٣) الجاحظ، رسالة في موت أبي حرب الصفّار البصريّ، تحقيق: محمّد طه الحاجريّ، مجلة الكاتب المصريّ، المجلد الثالث، العدد التاسع، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٧م، ص٣٨ – ٤٤، وفصول في هجاء محمّد بن الجهم البرمكيّ، تحقيق: محمّد طه الحاجريّ، مجلة الكاتب المصريّ، المجلد الخامس، العدد السابع عشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ص ٥٥ – ٦٢.

(٢٨٤) الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ (تحقيق الحاجريّ)، ص ١٧ – ٤٠.

(٢٨٥) الجاحظ، رسالة جديدة للجاحظ في مدح آل دُؤاد، (تحقيق: سمير الدروبيّ ومحمّد الدروبيّ): ٢٠١ – ٢٦٠.

(٢٨٦) الجاحظ، رسالة جديدة للجاحظ في الهجاء (تحقيق: محمّد الدروبيّ) ص ٥٩ – ١٠٠.

(٢٨٧) الجاحظ، المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، ص ٦٦ ظ – ٧٣ ظ.

(٢٨٨) انظر الحاشية رقم ٢٨٣.

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير: أبو الحسن، عز الدِّين، علي بن أبي الكرم، ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م:
الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢- الأفغانيّ، سعيد:
الجاحظ والسياسة، مجلة الثقافة، السنة الأُولى، العدد الخامس عشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م. ص ١٩-٢١.

٣- ابن تغري بردي: أبو المحاسن، جمال الدِّين، يوسف الأتابكيّ، ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م.
النجوم الزاهرة في مُلوك مصر والقاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب المصريّة، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

٤- الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر الكنانيّ، ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م:
- البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، الطبعة الأُولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- رسالة جديدة للجاحظ في مدح آل دُؤاد، تحقيق: سمير الدروبيّ ومحمّد الدروبيّ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، جامعة مؤتة، الكرك، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٢٠١-٢٦٠.
- رسالة جديدة للجاحظ في الهجاء، تحقيق: محمّد الدروبيّ، مجلة المنارة، المجلد الرابع، العدد الثالث، جامعة آل البيت، المفرق، ١٤٢٠هـ/

١٩٩٩م. ص ٥٩-١٠٠.
- رسالة في موت أبي حرب الصّفّار البصريّ، تحقيق: محمّد طه الحاجريّ، مجلة الكاتب المصريّ، المجلد الثالث، العدد التاسع، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م. ص ٣٨-٤٤.
- فصول في هجاء محمّد بن الجهم البرمكيّ، تحقيق: محمّد طه الحاجريّ، مجلة الكاتب المصريّ، المجلد الخامس، العدد السابع عشر، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م. ص ٥٥-٦٢.
- مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: باول كراوس ومحمّد طه الحاجريّ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.
- مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق: محمّد طه الحاجريّ، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- المختار من كلام أبي عثمان الجاحظ، نسخة خطية محفوظة في برلين تحت رقم (٥٠٣٢).
- نفي التشبيه، تحقيق: شارل بلاّ، مجلة المشرق، المجلد السابع والأربعون، بيروت، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م. ص ٢٨١-٣٠٣.
٥- الجهشياريّ: أبو عبدالله، محمّد بن عبدوس، ت ٣٣١هـ/ ٩٤٣م:
الوزراء والكُتّاب، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م.
٦- ابن أبي الحديد: عزّ الدّين بن هبة الله، ت ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م:
شرح نهج البلاغة، دار الأندلس، بيروت، د.ت.
٧- خالد، أحمد:
مع الجاحظ السياسيّ، مجلة الفكر، العدد السّادس، تونس، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص ٣٥-٦٠.

٨- الخطيب البغداديّ: أبو بكر، أحمد بن علي، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م:
تاريخ بغداد، مصورة عن طبعة الخانجيّ المصرية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٩- خفاجي، عبدالمنعم:
أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، د.ت.

١٠- ابن خلكان: أبو العباس، شمس الدِّين، أحمد بن محمّد، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م:
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

١١- الدُّروبيّ، محمّد محمُود:
آثار الجاحظ (دراسة توثيقيّة)، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأُردنيّة، عمّان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٢- الدِّينوريّ: أبو حنيفة، أحمد بن داود، ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م:
الأخبار الطِّوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١٣- شقرون، محمّد:
آراء الجاحظ في السياسة والاجتماع، حوليات الجامعة التونسيّة، العدد الثالث والثلاثون، تونس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢، ص ٢٠٧-٢٣٧.

١٤- الطبريّ: أبو جعفر، محمّد بن جرير، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م:
تاريخ الأُمم والملوك، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مصورة عن طبعة دار الكتب المصريّة، دار التراث العربيّ، بيروت، د.ت.

١٥- ابن عبدربّه: أبو عمر، أحمد بن محمّد الأندلسيّ، ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م:
العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين ورفاقه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر، القاهرة، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

١٦- ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم الدينوريّ، ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م:

المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١٧- الكُتبيّ: محمّد بن شاكر، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م:

فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٨- الكنديّ: محمّد بن يُوسف، ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م:

الولاة والقضاة، نشره: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م.

١٩- ابن منظور: أبو الفضل، جمال الدِّين، محمّد بن مكرم، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

٢٠- النديم: أبو الفرج، محمّد بن أبي يعقوب، ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م:

الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د.ن، طهران، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢١- ياقوت الحمويّ: أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م:

- معجم الأُدباء، نشره عن طبعة مرجليوت: أحمد فريد الرفاعيّ، مكتبة عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.